

ديوان ابن سهل الأندلسي

جمع أحمد حسنين القرني



ديوان ابن سهل الأندلسي

جمع
أحمد حسنين القرني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلي يسري

الترقيم الدولي: ٩ ٢٠٣٦ ٢٠٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٢٦.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٠.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	إهداء الكتاب
٩	فاتحة الكتاب
١١	مقدمة المؤلف
١٥	ديوان ابن سهل الأندلسي

إهداء الكتاب

إلى الشُّعراء،

إلى الكُتَّاب،

إلى الأدُّباء،

إلى كلِّ هؤلاء في مصر، وفي الشَّرق، أُهدي كتابي.

أحمد حسنين القرني

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، مَنْ يَشَاءُ يُضِلِّهِ، وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وبعد؛ فقد كان لي مِنْ إِقْبَالِ الْأُدْبَاءِ عَلَى كِتَابِي «بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ، شعره وأخباره» الذي أَظْهَرْتُهُ فِي هَذَا الْعَامِ مُشْجَعًا لِي عَلَى السَّيْرِ فِي طَرِيقِي، وَالْعَمَلِ عَلَى إِحْيَاءِ مَنْ رَفَعَ الْأَدَبَ وَالشَّعْرَ قَدَرَهُمْ، وَأَنْسَانَا تَوَالِي الْأَيَّامِ ذَكَرَهُمْ، فَاخْتَرْتُ بَعْدَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَهْلٍ شَاعِرَ الْأَنْدَلُسِ وَوَشَّاحَهَا، قَرَأْتُ لَهُ دِيوانًا مَطْبُوعًا مِنْذُ عَهْدٍ طَوِيلٍ، فَأَخَذْتُ عَلَى هَذَا الدِّيوان:

أولاً: سوء الطباعة.

ثانياً: رداءة الورق.

ثالثاً: تفشي الخطأ بشكل مُريع.

رابعاً: النقص كبيرٌ.

وَأَعْجَبَنِي شِعْرُ الرَّجُلِ، وَرِقَّةُ غَزَلِهِ، وَجَمَالُ أُسْلُوبِهِ، فَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ فِي تَكْمِلَةِ النِّقْصِ، فَوَفَّقَنِي اللَّهُ، وَأَجْهَدْتُ نَفْسِي بِمَعُونَةِ صَدِيقِي الْأَدِيبِ النَّافِعِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ أَفْنَدِي رَمَزِي

نظيم في إصلاح الأخطاء، وردّ الأبياتِ إلى أصولها، حتى وفّقنا الله، واخترتُ له الورقَ
والأحرُفَ التي بين يديّ القارئِ الكريم.
وسأبقى — ما بقيتُ فيّ قوّةٌ — ماضياً في طريقي، باحثاً، مُنقّباً، خادماً للأدب وذوويه،
والله وليّ بالتوفيق، وهو حسبي ونعمَ المُعينُ.

أحمد حسنين القرني
القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٢٥

مقدمة المؤلف

ابن سهل

هو إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الأندلسي.

(١) أصله

نَزَحَ آبَاؤُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ، وَهُوَ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ الْأَصْلَ، وَلَكِنَّهُ بَرَعَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبَرَزَ فِي آدَابِهَا.

(٢) نشأته

وُلِدَ بِمَدِينَةِ إشبيلية فِي سَنَةِ ٦٠٩ مِنْ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ مِنْ شَعْرَاءِ بَنِي هُوْدٍ الَّذِينَ كَانَ عَصْرُهُمْ مِنْ أَزْهِى عَصُورِ الْحَضَارَةِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ.

(٣) عصره

عَاشَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ؛ أَيْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُعْتَبَرُ آخِرَ عَصُورِ الْعَرَبِ فِي الْأَنْدَلُسِ، إِلَّا أَنَّ الشُّعْرَ مَعَ هَذَا كَانَ عَلَى حَالِهِ مِنَ الرُّقْيَى، وَالنَّاسُ كَمَا هُمْ يُمَجِّدُونَ الشُّعْرَاءَ، وَيُكْثِرُونَهُمْ؛ لِأَنَّ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ لَمْ تَمُتْ بَدَاءَ الشَّيْخُوخَةِ، بَلِ اهْتَصَرَتْ قَتِيَّةً، فَكَانَتْ أَيَّامُهَا

الْأَخِيرَةُ أَيَّامَ عَزِّ اللُّغَةِ وَفَتَوَتْهَا، وَنَمُوَ الْأَدَبُ وَالنُّهُوضُ بِالشُّعْرِ، وَالتَّفَنُّنُ فِي أَسَالِيْبِهِ، وَفِي وَسْطِ هَذَا الْبَحْرِ الرَّآخِرِ بِالْعُلَمَاءِ، الْعَامِرِ بِالشُّعْرَاءِ وَالْأُدْبَاءِ، بَرَزَ ابْنُ سَهْلٍ وَتَلَأَّأَ نَجْمُهُ فِي سَمَاءِ الْأَدَبِ حَتَّى سُمِّيَ: شَاعِرَ إِشْبِيلِيَّةٍ، وَوَشَّاحَهَا.

(٤) شعره

وَجَدَانِيَّ صِرْفُ تُمْلِيهِ الْعَاطِفَةُ، وَأَرْقُ الشَّعْرِ مَا أَوْحَتْ بِهِ الْعَاطِفَةُ وَأَمْلَاهُ الْوَجْدَانُ، لَا مَا أَنْتَجَتْهُ الصَّنْعَةُ، وَنُجَّتْ مِنَ الْعَقْلِ نَحْتًا؛ لِهَذَا سَمَّوْهُ: «شَاعِرَ إِشْبِيلِيَّةٍ وَوَشَّاحَهَا»، وَشَهِدَ لَهُ بِالتَّبَرُّيزِ كِبَارُ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا غَرِقَ: «عَادَ الدُّرُّ إِلَى وَطْنِهِ». وَسُئِلَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ عَنِ السَّرِّ فِي رِقَّةِ شَعْرِ ابْنِ سَهْلٍ، فَقَالَ: لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ ذُلَانُ: ذُلُّ الْعِشْقِ، وَذُلُّ الْيَهُودِيَّةِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ: «كَانَ مِنَ الْأُدْبَاءِ، الْأَذْكِيَاءِ، الشُّعْرَاءِ، كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَكَتَبَ لِابْنِ خُلَاصٍ بِسَبْتَةٍ».

وَقَالَ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ: «ابْنُ سَهْلٍ أَدِيبٌ مَاهِرٌ دُونَ شَعْرِهِ فِي مَجْلَدٍ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ مَدَحَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ يَقْرَأُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَيُخَالِطُهُمْ». وَقَدْ قَالَ عَنْهُ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ ضَيْفٌ أَحَدُ رِجَالِ الْأَدَبِ الْمَعْدُودِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ الْكَثِيرَ مِنْ سِيرَتِهِ: «هَذِهِ صُورَةٌ ابْنِ سَهْلٍ، وَهِيَ صُورَةٌ شَاعِرٍ وَصَافٍ يُجِيدُ الْوَصْفَ، وَغَازِلٍ يُجِيدُ الْغَزَلَ، وَوَجْدَانِيٍّ لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ وَجْدَانِهِ، وَمُصَوِّرٍ بَارِعٍ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ، قَلِيلُ الْآرَاءِ، قَاصِرُ الْخِيَالِ، لَكِنَّهُ مُبْدِعٌ فِي الْأَسْلُوبِ، مُتَفَنِّنٌ فِي الْكَلَامِ، لَا يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِأَدْنَى مَلَلٍ فِي قِرَاءَةِ كَلَامِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ خَفِيفُ الرُّوحِ، مُطْرَبٌ، مُعْجَبٌ، وَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى جَمَالِ قَوْلِهِ، وَنَصِيْبِهِ فِي الْإِفْتِتَانِ!»

وَقَدْ ظَهَرَ نَبُوْعُهُ فِي الشَّعْرِ وَهُوَ شَابٌّ، وَلَا تَجِدُ لَهُ فِي غَيْرِ الْغَزْلِ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَشَعْرُهُ جَمِيلٌ، وَأَسْلُوبُهُ رَائِعٌ، وَمَعَانِيهِ شَائِقَةٌ، وَإِذَا قَرَأْتَ كُلَّ شَعْرِهِ لَاحَ لَكَ كَأَنَّهُ جَمَعَ كُلَّ مَا عَرَفَ وَيَعْرِفُ مِنَ الْآرَاءِ فِي الْعِشْقِ وَالْغَزْلِ.

(٥) عيوب شعره

قُصُورٌ فِي الْخِيَالِ، وَقِلَّةٌ فِي الْآرَاءِ، وَتَكَرُّارٌ لِلْمَعَانِي، حَتَّى لَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْطِيَ حُكْمًا عَنْهُ بِقِرَاءَةِ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ لَهُ، وَفِيْمَا وَصَلَ إِلَى يَدَيَّ مِنْ مَوْشَّحَاتِهِ بَعْضُ تَعْقِيدٍ لَفْظِيٍّ سَلِمَ مِنْهُ شَعْرُهُ.

(٦) مدحه

يكاد يكون معدوم المدح، ودُرّة مدائحه هي القصيدة العينية التي يمدح بها النبي ﷺ، وأولها:

تَنَازَعْنِي الْأَمَالُ كَهَلًا وَيَافِعًا وَيُسْعِدُنِي التَّغْلِيلُ لَوْ كَانَ نَافِعًا

(٧) هجائه

لم يرد في شعره شيء من الهجاء.

(٨) أخلاقه

تجمع فيه إلى جانب رقة العاشق دماثة الأديب، وداعة الشاعر الطريف، ولم يكن هجاء فيقال: سَلِيط، ولا مداحاً فيقال: منافق! ولم يذكر شيء عن صفاته الجثمانية.

(٩) مذهبه الديني

كان يهودياً تغلّلت اليهودية في نفسه حتى علّوا رقة شعره باجتماع ذلّ العشق وذلّ اليهودية فيه — كما قدّمنا، ثم أسلم، وقرأ القرآن، وعاشر المسلمين، ومدح النبي ﷺ بقصيدة طويلة، واستدلوا على إسلامه بقوله:

تَسَلَّيْتُ عَنْ مُوسَى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ هُدَيْتُ وَلَوْلَا اللَّهُ مَا كُنْتُ أَهْتَدِي
وما عن قلبي قد كان ذاك، وإنما شريعة موسى عطلت بمحمد

ولكنّ البعض رماه بعدم الإخلاص، وقالوا: إنه كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو من قذح واتهام. وكان أبو الحسن علي بن سمعة يقول: «شيئان لا يصحان: إسلام إبراهيم بن سهل، وتوبة الزمخشري من الاعتزال». وقد روى العلامة الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق أنه مات على دين الإسلام، وكذلك قال ابن الأبار، وأثير الدين أبو حيّان. وقد اجتمع مع ابن سهل جماعة في مجلس أنيس، وسألوه — بعد أن أعمت الراح فيه — عن إسلامه هل هو في الظاهر والباطن؟ فأجابهم: للناس ما ظهر، ولله ما استتر.

وعلى كلٍّ، فسواء أأَخْلَصَ في إسلامه أم لم يُخْلِصْ، فقد وُلِدَ يهوديًا، ومات مُسْلِمًا.

(١٠) حُبُّه

رَدَّدَ في كلِّ غزله وكلِّ شعره اسمًا واحدًا هو «مُوسَى»، وقالوا: إِنَّهُ أَرَادَ به مُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ، عليه السلام. وقالوا: بل هو غلامٌ يهوديٌّ كان يَهْوَاهُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ أَثِيرَ الدِّينِ بْنِ حَيَّانٍ؛ فَقَدْ قَالَ: «أَكْثَرُ شَعْرِهِ فِي صَبِيٍّ يَهُودِيٍّ كَانَ يَهْوَاهُ.» وَأَنَا أَرَى هَذَا الرَّأْيَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ:

أَصْبُو إِلَى قِصَصِ الْكَلِيمِ وَقَوْلِهِ قَصْدًا لِدُكْرِكَ عِنْدَهَا وَتَعْرُضًا

وقوله:

أَبْطَلَ مُوسَى السَّحَرَ فِيمَا مَضَى وَجَاءَ مُوسَى الْيَوْمَ بِالسَّحْرِ

فموساه هذا إمَّا هو معشوقٌ صحيح بهذا الاسم، وإمَّا شخصية تَخَذَهَا سِتَارًا لمعشوقٍ آخر، وقد تكون داعيًا من دواعي الشعر تغنَّى بها، وإنْ يَكُنْ في هذا الرَّأْيِ ما فيه من ضَعْفٍ.

(١١) ديوانه

أَعْتَقَدُ أَنَّ لَهُ شَعْرًا وَمَوْشَحَاتٍ غَيْرَ مَا تَجِدُ، وَلَكِنْ لَعَلَّهَا ضَاعَتْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَّا قِطْعٌ مَتَفَرِّقَاتٍ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ بَيْنَ يَدَيْكَ مَجْمُوعُهَا مِضَافًا إِلَى دِيوانِ صَغِيرٍ قَالَ جَامِعُهُ: إِنَّهُ طَافَ مِنْ أَجْلِهِ مُخْتَلِفَ الْبِلَادِ، وَعَثَرَ عَلَى أَكْثَرِهَا فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِدَعْوَةٍ مِنْ وَاحِدٍ هُنَاكَ.

(١٢) وفاته

مات غَرِيقًا في سنة ٦٤٩، وكان عُمرُه ٤٠ سنة.

أحمد حسنين القرني

ديوان ابن سهل الأندلسي

(١) حرف الهمزة

بين اليأس والأمل

إذا اليأسُ ناجى النفسَ منك بَلَنٌ ولا أجابتُ ظنوني: ربِّما، وعسائي

(٢) حرف الباء

لذَّة الأسى

رُدُّوا على طُرْفِي النومَ الذي سَلَبَا
علمتُ لَمَّا رَضِيتُ الحبَّ منزلةً
فقلْتُ: وا حربا! والصمتُ أجدرُ بي^١
وليس ثأري على موسى وحُرْمَتِهِ
إني له عن دَمِي المسفوكِ معتذِرُ
مَنْ صاغه الله من ماء الحياة، وقد
وَحَبَّرُونِي بِعَقْلِي أَيَّةَ زَهَبَا؟
أَنَّ المَنَامَ على عَيْنِي قد غَضِبَا
قد يغضبُ الحبُّ إِنْ نادَيْتُ: وا حربا!
بواجبٍ، وهو في جِلٍّ إذا وَجَبَا
أقول حَمَلْتُهُ في سَفْكِهِ تَعَبَا
أجرى بِقِيَّتِهِ في ثَغْرِهِ^٢ شَنْبَا^٣

^١ وا حربا: أي وا حزنا!

^٢ الثغر: هو ما تقدَّم من الأسنان.

^٣ الشَّنْب: حِدَّة الأسنانِ ودِقَّتْهَا.

هل تعلمون لنفسي بالأسى نَسَبًا؟!
أغواك؟ قلت: اطلُّبوا مَنْ لَحَظَهُ السَّبَبَا
والْقَطْرُ إِنْ حُجِبَتْ شَمْسُ الضُّحَى انْسَكَبَا
فعكسها شَبٌّ في أحشائي اللَّهَبَا
فلم أَجِدْ عودَه نَبْعًا، ولا غَرَبَا^٧
صريعَ شوقٍ إذا غَالَبَتْهُ غَلَبَا
نجومه رَدَدَتْ مِنْ حَالَتِي عَجَبَا
حتى رَأَيْتُ جُمانَ^٨ الشُّهْبِ قد نُهبَا
قد نال منها سوادُ الليل ما طَلَبَا؟
إِلَّا شكا، أو بكى، أو حَنَّ، أو طَرَبَا؟
رامَ الْوُرودَ فيُرَوَّى، وهو ما شَرَبَا!

نَفسي تَلَدُّ الْأَسَى فيه، وتَأَلَّفَه
قالوا: عهدُناك من أهل الرِّشاد، فما
يا غائبًا، مُقَلَّتِي تَهْمِي لِفُرْقَتِهِ
أَلْقَى بمرارةٍ فِكْري شمسَ صُورَتِهِ
لَمَّا غَرَبَتْ، عَجَمْتُ^٩ الصَّبْرَ أَسْبُرُهُ^{١٠}
كم ليلةٍ بَتُّها، والنجمُ يَشْهَدُ لي
مُرَدَّدًا في الدُّجَى لَهْفِي، ولو نطقتُ
نَهَبْتُ فيها عقيقَ الدَّمْعِ مِنْ أَسْفِ
هل تَشْتَفِي مِنْكَ عَيْنٌ أَنْتَ ناظِرُها
ماذا تَرَى مِنْ محبٍّ ما ذُكِرَتْ له
يَرَى خيالك في الماءِ الزَّلَالِ إذا

أَيكون العاشقُ لبيبًا؟!

ودادي، وأَعذارِي إليك ذنوبي؟
وقاطعتُ مِنْ قومي أعزَّ حبيبِ
ولبَّيْ، وجثمانِي لغيرِ مُثِيبِ
وخابَ — ولا عُتِبَ عليه — نَصِيبِي
تناقضَ وَصْفًا عاشقٍ ولبيبِ!
ولكنْ فراقُ السَّيفِ كَفَّ شَيبِ!^{١٠}

أَمْوسى، متى أَحْظَى لَدَيْكَ، ومعبدي
نَبِذْتُ^٩ لَصَبْرِي فيكَ أَكْرَمَ عُدَّةٍ
وَهَبْتُ — ولا مَنِي على الحُسْنِ — مُهْجَتِي
فَضاعَتْ — ولا رُدُّ عليه — وسائلي
وقالوا: لبيبٌ لو أرادَ عَصَى الهوى
وما باختيارِي فارَقَ القلبَ صَبْرُهُ

^٤ بعدت.

^٥ اختبرت.

^٦ أعرفُ مَقْدارَه.

^٧ النبع: الماء القليل، والغرب: الدُّلو الكبير، والمقصود هنا لم أَجِدْهُ قَلِيلًا أو كَثِيرًا.

^٨ الجمان: كُرَات تُصْنَعُ مِنَ الفضة.

^٩ تركتُ.

^{١٠} رجلٌ من العرب يَصْرِبون به المَثَلُ في الشجاعة.

استسلام العاشق

أذوقُ الهوى مرَّ المطاعِمِ عَلَقَمًا
تحنُّ وتصبو كلُّ عينٍ لحُسْنِهِ
وموسى، ولا كُفْرانَ لله، قاتِلِي
وأذكرُ مَنْ فيه اللَّمَى^{١١} فيطِيبُ
كأنَّ عيونَ الناسِ فيه قلوبُ
وموسى لقلبي، كيف كان، حبيبُ

يأسُ العاشقين

هو البَيْنُ^{١٢} يا موسى، ولو كنتَ ثاويًا^{١٣}
أروضَ الصَّبَا! قد جفَّ بالبَيْنِ مَنبِتِي
وقد كنتُ قبلَ البَيْنِ أَهْذِي بِمَطْمَعِي
فأما وقد نادى الغرابُ ركائبِي
ويا سلوتي في الحبِّ، بينِي^{١٤} دَمِيمَةً
من اليومِ أرخُ فيكَ أوَّلَ شِقْوَتِي
فما كان قُرْبُ الدارِ منك مُقَرَّبِي
ويا شمسَ أفقِ الحُسْنِ! قد حانَ مَغْرِبِي
وأزْقِي^{١٥} جفوني بالرجاءِ المُخَيِّبِ
فيا صبرُ، إن شَرَقْتَ سَيْرًا فغَرِبِ
وفي غيرِ حفظِ أيُّها النومُ فاذهِبِ
وأخِرَ عهدي بالفؤادِ المُعَذِّبِ

لوعة العاشق

تَدْنِيكَ زُورُ الأمانِي
كأنَّنِي حينَ أبْغِي
وأشْتَهِي منك دَنْبًا
حتى إذا كان ذَنْبُ
ظَمِئْتُ منك لوعِدِ
لا خابَ سؤْلُكَ، أمَّا
مَنِّي! وتَنَأَى^{١٦} طِلابًا
رضاك أبْغِي الشَّبَابَا
أبْنِي عليه العِتَابَا
فتحتُ للعُذْرِ بابَا
فكانَ ورْدِي السَّرَابَا^{١٧}
سؤْلِي لَدَيْكَ فَخَابَا!

^{١١} حمرة الشَّفاء.

^{١٢} البُعد.

^{١٣} مُقِيمًا.

^{١٤} أتلو رقية؛ أي تعويذة أُسْكِنَهَا بها.

^{١٥} ابْعِدِي.

^{١٦} تبعد.

^{١٧} يلوح للسائر في الفلاة في وسط النهار كأنه ماء، وليس بماء.

ما يعلم الشوق

مِنَ الْأَيَّامِ لَا أَلْقَاكَ عَشْرُ
وَلَسْتُ أَعُدُّ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهَا
فَإِنْ تَكُ لَمْ تَعُدَّ، وَلَمْ تُحَقِّقْ
أُطَلْتُ بِهَا عَلَى الزَّمَنِ الْعِتَابَا
لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحُ فِيهِ بَابَا
فَلِي شَوْقٌ يُعَلِّمُنِي الْحِسَابَا!

الطبيب المحموم

خُلِصَتْ خُلُوصَ التَّبْرِ^{١٨} مِنْ عِلَّةِ الضَّنَى
فَإِنْ كَانَتْ الْحُمَى تَضُرُّ حَبِيبَهَا
وَمَا كُونُهَا فِي مِثْلِ جَسْمِكَ بَدْعَةً
وَأَشْبَهْتَ مِنْهُ صَفْرَةً بِشُحُوبِ^{١٩}
فَمَا عَجَبٌ إِضْرَارُهَا بِطَبِيبِ!
فَمَا الْحَرُّ فِي شَمْسِ الضُّحَى بِغَرِيبِ!

تهنئة بمولود

هِيَ طَلَعَةُ السَّعْدِ الْأَغَرِّ فَمَرْحَبًا
فَرَعُ أَزَاهِرِهِ الْمَنَاقِبُ ثَابِتُ
اللَّهِ خَوْلٌ فِيهِ آجَامُ^{٢٣} الْعُلَى
هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْأَسْنَةُ، وَالْأَسْرُ
لَا تُرَكِّبُوهُ عَلَى الْمُهُودِ^{٢٤} فَإِنَّهُ
وَلْتَفْطِمُوهُ عَنِ الرِّضَاعِ فَإِنَّهُ
وَسَنَا^{٢٠} الرِّئَاسَةَ قَدْ أَضَاءَ، فَلَا خَبَا^{٢١}
فِي الْمَكْرُمَاتِ الشُّمِّ، لَا شُمُّ الرُّبَا^{٢٢}
لَيْثًا، وَأَفَاقَ الرِّئَاسَةِ كَوَكْبَا
ةً، وَالْمَحَافِلُ، وَالْجَحَافِلُ، وَالظُّبَا
لَيَرَى ظُهُورَ الْخَيْلِ أَوْطَأَ مَرْكَبَا
لَيَرَى دَمَ الْأَبْطَالِ أَحْلَى مَشْرَبَا

^{١٨} الذهب الخالص.

^{١٩} الشحوب: صفرة الهزال.

^{٢٠} نُور.

^{٢١} انطفأ.

^{٢٢} جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

^{٢٣} جمع أجمة، وهي الغابة.

^{٢٤} جمع مَهْد، وهو فراش الطفل.

يا لحظاتٍ للفتن في كَرِّها أَوْفَى نَصِيب
ترمي فكلِّي مَقْتَلُ وكلُّها سهمٌ مُصِيب

* * *

اللَّوْمُ لِلَّاحِي^{٢٥} مُبَاخُ أَمَّا قَبُولُهُ فَلَا
عَلَقَتْهُ وَجْهَ صَبَاخُ رِيْقُ طِلَا^{٢٦} عَنقُ طِلَا^{٢٧}
كالظَّبْيِ ثَغْرُهُ أَقَاخُ وما ارْتَعَى شَيْخَ الْفَلَا^{٢٨}

* * *

يا ظَبْيُ خذْ قَلْبِي وَطَنُ فَأَنْتَ فِي الْأَنْسِ غَرِيب
وارتَعْ، فهذا سِلْسَلُ^{٢٩} ومهجتِي مَرَعَى خَصِيب!

* * *

بَيْنَ اللَّمَى وَالْحَوَرِ^{٣٠} مِنْهُ الْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ
سَقَتْ مِيَاهُ الْخَفْرِ^{٣١} فِي خَدِّهِ وَرَدَ الْخَجَلُ
زَرَعْتُهُ بِالنَّظَرِ وَأَجْتَنِيهِ بِالْأَمَلِ
فِي طَرْفِهِ السَّاجِي^{٣٢} وَسَنَ^{٣٣} سَهْدَ^{٣٤} أَجْفَانِ الْكَئِيبِ

^{٢٥} اللائم.

^{٢٦} خمر.

^{٢٧} ظبْي.

^{٢٨} جمع فلاة، وهي المفازة.

^{٢٩} ماء عذب رائق.

^{٣٠} اللَّمَى: سُمْرَةُ الشَّفَةِ تُسَخَّسَن، وَالْحَوَر: شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِهَا.

^{٣١} شِدَّةُ الْحَيَاءِ.

^{٣٢} السَّاكِن.

^{٣٣} نُعَاس.

^{٣٤} أَشْهَر.

والرَّدْفُ فِيهِ ثَقُلٌ خَفَّ لَهُ عَقْلُ اللَّبِيبِ

* * *

أَهْدَى إِلَى حَرِّ الْعِتَابِ بَرَدَ اللَّمَى وَقَدْ وَقَدَ^{٣٥}
فَلَوْ لَثَمْتُهُ لَذَابِ مِنْ زَفَرْتِي ذَاكَ الْبَرْدِ
ثُمَّ لَوَى جِيدًا^{٣٦} كَعَابِ^{٣٧} مَا خِلْتُهُ إِلَّا الْغَيْدَ^{٣٨}
فِي نَزْعَةِ الظُّبْيِ الْأَغْنِ وَهَزَةِ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
يَجْرِي لِدَمْعِي جَدُولٌ فَيَنْتَنِي مِنْهُ قَضِيبِ

* * *

أَأَنْتَ حُورٌ أَرْسَلَكَ رِضْوَانُ صِدْقًا لِلْخَبَرِ؟
قُطِّعَتِ الْقُلُوبُ لَكَ وَقِيلَ: مَا هَذَا بَشَرًا!
أَمْ الصَّفَا مَضَى هَلَكَ مِنَ النَّوَى أَمْ الْكَدَرِ
حَتَّى تُزَكِّيهِ الْمَحَنُ أَمْرُ الْهَوَى أَمْرٌ غَرِيبِ
كَأَنَّ عَشْقِي مِنْدَلْ زَادَتْهُ نَارُ الْهَجْرِ طِيبِ
أَغْرَبْتَ^{٣٩} فِي الْحُسْنِ الْبَدِيعِ فَصَارَ دَمْعِي مَغْرِبًا
شَمَلَ الْهَوَى عِنْدِي جَمِيعِ وَأَدْمُعِي أَيْدِي سَبَا^{٤٠}
فَلتَسْتَمِعْ عَبْدًا مُطِيعِ غَنَى لِبَعْضِ الرُّقْبَا
هَذَا الرَّقِيبُ مَا يَظُنُّ لَوْ كَانَ إِنْسَانٌ مَرِيبِ
مَوْلَايَ! قُمْ بِي نَعْمَلْ ذَاكَ الَّذِي ظَنَّ الرَّقِيبُ

^{٣٥} اتَّقَدَ.

^{٣٦} عَنقَ.

^{٣٧} الكعاب الجارية التي بدا نَدْيُهَا للنهود.

^{٣٨} النعومة.

^{٣٩} جئت بشيء غريب.

^{٤٠} متفرقات.

موشح

رَوْضُ نَضْرٍ، وشادين^{٤١} وطلا فاجتن زهرَ الربيع والقَبْلا وأشرب
يا ساقياً ما وُقِيَتْ فتنَّته!
حگتُ رحيقُ الكئوسِ صُورته
فمثلتُ ثغره، ووجنته
هذا حُباب كالسلك معتدلاً وذا رحيق كالزجاج علا كوكب
أقمت حربَ الهوى على ساق
وبعت عَقْلِي بالخمر من ساق
أسهر جفني بنوم أحداق
بمثل السحر وسطها كَحَلَا^{٤٢} مقلته وهي تُبْرِئُ العِلا فاعجب!
قلبك صخرُ والجسم من ذهب!
أيا سميَّ النبيِّ يا ذَهَبِي
جاورتِ مِنْ مهجتي أبا لَهَبِ
يا باخلاً لا أذمُّ ما فعلا! صيرتُ عندي مذهبَ البُخْلا مذهب!
يا مُنْيَتِي، والمُنَى من الخِدَعِ!
ما نلتُ سؤْلِي، ولا الفؤاد مَعِي!
هل عنكَ صبرٌ، أو فيكَ مِنْ طَمَعٍ؟
أفنيْتُ فيكَ الدموع والجِلا قالوا: تسلَّى في الحبِّ! قلتُ: ولا مأرب!
أبيتُ أشكوه لَوَعْتِي عجباً
فصدَّ عَنِّي بوجهه غَضِباً
عندَ هذا ناديتُ: وا حرباً!
تصدَّ عَنِّي يا مُنْيَتِي مَللاً وأشتكي من صُدُودِكَ العِلا تغضب!

^{٤١} الغزال الذي قَوِي، وطلَّعَ قرناه، واستَغْنَى عن أمه.

^{٤٢} سواد العين بغير كحل.

(٣) حرف التاء

العتار

هذا أبو بكر يَقُودُ بِوَجْهِهِ
أَهْدَى رَبِيعُ عَذَارِهِ لِقُلُوبِنَا
صَبَّتِ النَفُوسُ، وَقَدْ أَضَلَّ، كَمَا صَبَا
خَدْ جَرَى مَاءُ النَسِيمِ بِجَمْرِهِ
كَتَبَتْ حُرُوفُ الشَّعْرِ فِي وَجَنَاتِهِ
فَتَرَى ذُنُوبَ جُفُونِهِ فِي خَدِّهِ
جَيْشُ الْفَنُونِ مَطَرَزَ الرَّيَاثِ
حَرَ الْمَصِيفِ فَشَبَّ لِلْوَجَنَاتِ
أَهْلُ الضَّلَالِ لَخَدِّهِ الرُّومَاتِ^{٤٣}
فَاسُودَ مَجْرَى الْمَاءِ فِي الْجَمَرَاتِ
مَا قَدْ جَنَتْ عَيْنَاهُ فِي الْمُهْجَاتِ
يَبْدُو عَلَيْهَا رَوْنُقُ الْحَسَنَاتِ

(٤) حرف الحاء

مناجاة!

يَا مَنْ هُدَيْتُ بِحُسْنِهِ! فَمَحَبَّتِي
قَدَحْتُ لَوَاجِظِكَ الْهَوَى فِي خَاطِرِي
مَا اسْتَكْمَلْتُ لِي فِيكَ أَوَّلَ نَظَرَةٍ
أَنْتَ السِّمَّاكُ مِنَ الْبَعَادِ، وَرَبِّمَا
يَا حَبَّ مُوسَى! لَا تَخَفْ لِي سَلْوَةً
أَهْوَاهُ حَتَّى الْعَيْنُ تَأْلَفُ سَهْدَهَا
يَا هَلْ دَرَى جَفَنِي غَدَاةَ وَدَاعِهِ
وَالصَّبْرُ؛ إِنَّ الصَّبْرَ كَانَ مُوَدَّعِي
بِيضَاءُ فِي نَهْجٍ؛ الْغَرَامُ الْوَاضِحُ
حَقًّا لَقَدْ وَرَيْتَ زَنْدَ الْقَادِحِ^{٤٤}
حَتَّى عَلِمْتُ بِأَنَّ حَبَّكَ فَاضِحِي
سِمَاكُ لَخِطِّكَ بِالسِّمَّاكِ الرَّامِحِ
ظَهَرَ الْغَرَامُ، وَخَابَ ظَنُّ النَّاصِحِ
فِيهِ، وَتَطَرَّبَ بِالسَّقَامِ جَوَارِحِي
قَدَرِ الرِّزْيَةِ بِالْمَنَامِ النَّازِحِ!^{٤٥}
وَالْجَسْمُ؛ إِنَّ الرُّوحَ كَانَ مُصَافِحِي

^{٤٣} الضلال معناه الحب، والرومات لم أقف لها على معنى، وقد جاءت هكذا في عدة مصادر.

^{٤٤} طريق.

^{٤٥} ورى: أخرج النار، والزند، العود الذي يُقَدَحُ ليخرج النار؛ والقادح الضارب.

عرائس الغصون

وَيَمُدُّ رَاحَتَهُ لَغَيْرِ الرَّاحِ
وَيَهْزُ عِطْفَ الشَّارِبِ الْمَرْتاحِ
مِنْ كُلِّ مَا أَشْكُوهُ لَيْسَ بِصَاحِ
مِنْ جَانِحٍ لِلْعَجَزِ خَلْفَ جَنَاحِ
وَتَخَالَهُ قَدْ ظَلَّ فِي أَفْرَاحِ
أَنَّ اطَّرَاحَ نَصِيحَةِ النَّصَّاحِ
قَدْ وُشِّحَتْ أَعْطَافُهَا بِوِشَاحٍ^{٤٧}

غَيْرِي يَمِيلُ إِلَى كَلَامِ اللَّاحِي
لَا سَيْمًا وَالْغَصْنَ يُزْهِرُ زَهْرَهُ
وَقَدْ اسْتَطَارَ الْقَلْبَ سَاجِعُ أَيْكَةٍ^{٤٨}
قَدْ بَانَ عَنْهُ قَرِينُهُ، عَجَبًا لَهُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ غَدَا فِي مَأْتَمِ
فَالآنَ وَقْتُ تَرْفَعِ الْكَاسَاتِ قَدْ
وَعَلَى الْعُرُوشِ مِنَ الْغَصُونِ عَرَائِسُ

(٥) حرف الدال

داء ودواء

فَمَا أَضْيَعَ الْبَرْهَانَ عِنْدَ الْمُقَلِّدِ!
بَأَكْرَهَةٍ فِي مَرْأَةٍ مِنْ عَيْنِ مُكْمَدٍ^{٤٩}
بِهَا الْحُسْنُ مِنَّا مَسْكَةُ الْمُتَجَلِّدِ
بِيَاضِ الضُّحَى فِي نَعْمَةِ الْغُصَنِ النَّدِيِّ
عَلَى أَصْلِهَا فِي اللَّوْنِ إِيمَاءُ مُرْشِدِ
وَمَوْسَى لِنُوبِ الْحُسْنِ أَمْلَحُ مُرْتَدِ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ
تَرَوْا كَيْفَ يَعْتَزُّ الْجَمَالُ وَيَعْتَدِي

أَقْلُدُ وَجْدِي، فَلْيُبْرِهَنْ مُفَنِّدِي^{٤٨}
هَبُوا نُصْحَكُمْ شَمْسًا فَمَا عَيْنُ أَرْمَدِ!^{٤٩}
غَزَالُ بَرَاهُ اللَّهِ مِنْ مِسْكَةٍ بَرَى
وَأَبْدَعَ فِيهَا الصُّنْعَ حَتَّى أَعَارَهَا
وَأَبْقَى لِذَلِكَ الْأَصْلِ فِي الْخَدِّ نَقْطَةً
وَإِنِّي لِنُوبِ السُّقْمِ أَجْدَرُ لِابِسِ،
تَأْمَلْ لَطْفِي شَوْقِي وَمَوْسَى يُشَبِّهْ
دَعْوَهُ يُذِبُ نَفْسِي، وَيَهْجُرُ، وَيَجْتَهِدُ

^{٤٦} الأيكة واحدة الأيكة، وهو الشجر الكثيف الملتف، والساجع الحمامة التي تُغني فوقها.

^{٤٧} الوشاح: نسيج عريض مُرَصَّع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها، والأعطاف جمع عطف، وهو الجانب من لدن الرأس إلى الورك.

^{٤٨} لا تمي.

^{٤٩} مريض بعينه.

^{٥٠} حزين مكتوم الحزن.

وإن يَلُو إِعْرَاضًا فَصَفْحَةً أَغِيدُ^{٥١}
وسَهَّدَنِي — لَا ذَاقَ بَلَوَى النَّسْهِدِ!
وكدْتُ، وَقَدْ أَعْدَرْتُ يُسْقَطُ فِي يَدِي!
رَمَانِي فَكَانَتْ «لَا» افْتِتَاحَ التَّشْهِدِ
مَحَا لَذَّةَ النَّشْوَانِ سُكْرُ الْمُعْرِبِ
طَبِيبِي سَقَامٌ فِي لَوَاحِظِ مُبْعِدِي
فَقُلْتُ: نَعَمْ؛ لَوْ أَنَّهُ بَعْضُ غَوْدِي
بِهِ سَوْءُ بَخْتٍ مِنْ هَوَى غَيْرِ مُسْعِدِ
بِمَاءٍ جَفُونِ مَاءٍ ثَغْرِ مُنْضِدٍ؟
فَأَبْدَى ازْدِرَاءً بَابَنْ حُجْرٍ وَمَعْبِدٍ^{٥٢}
بِأَحْلَى سَلَامٍ مِنْهُ أَفْطَحُ مَشْهَدِ
فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي مِثْلَ مَشْيِ الْمُقَيَّدِ
مَشَتْ لَكَ نَفْسِي فِي الزَّفِيرِ الْمَصْعَدِ
وَصَاغَتْ جَفُونِي حَلِي ذَاكَ الْمُقْلَدِ
وَضَنَّ بِذَوْبِ الدَّرِّ فَوْقَ مُورِدٍ^{٥٣}
فَأَلَّفَ بَيْنَ الْمُزْنِ^{٥٤} وَالسُّوسَنِ النَّدِي
عَفِيفٍ وَعَيْنَ النَّاسِكِ الْمُتَعَبِّدِ
فَأَذْهَلَنِي عَنْ مَصْدِرِي حُسْنُ مُورِدِي

إِذَا مَا رَنَا شَزْرًا فَمِنْ لَحْظِ أَحْوَر
وَعَذَّبَ بَالِي — نَعَمْ اللَّهُ بِآلِهِ —
تَطَلَّعَ وَاللَّاحِي يَلُومُ، فَرَاعَنِي
وَنَادَيْتُ: لَا! إِذْ قَالَ: تَهْوَى وَإِنَّمَا
أَيَّا طَيْبِ سُكْرِ الْحَبِّ لَوْلَا جَنُونُهُ
شَكُوتُ مَجَازًا لِلطَّبِيبِ، وَإِنَّمَا
فَقَالَ — عَلَى التَّائِسِ: ^{٥٢} «طَبُّكَ حَاضِرٌ»
وَقَالَ: شَكََا سَوْءَ الْمِزَاجِ وَإِنَّمَا
بَكَيْتُ، فَقَالَ الْحُسْنُ هُزًّا: أَتَشْتَرِي
وِغْنِيَّتَهُ شَعْرًا بِهِ أَسْتَمِيلُهُ
كَأَنِّي بِصِرْفِ الْبَيْنِ^{٥٤} حَانَ فَجَادَ لِي
تَغْنَمْتُ مِنْهُ السَّيْرَ خَلْفِي مُشِيعًا
وَجَاءَ لِتَوْدِيعِي، فَقُلْتُ أَتَيْدُ فَقَدْ
جَعَلْتُ يَمِينِي كَالنَّطَاقِ لَخْصَرِهِ
وَجَدْتُ بِذَوْبِ التَّبْرِ فَوْقَ مُورَسٍ
وَمَسَحَ أَجْفَانِي بِبَرْدِ بَنَانِهِ
أَيَّا عِلَّةَ الْعَقْلِ الْحَصِيفِ^{٥٧} وَصَبُوءَ الـ
رَعِيْتُ لِحَاطِي فِي جَمَالِكَ أَمْنًا

^{٥١} النظر الشزر: هو الذي يكون بمؤخر العين، والأحور مَنْ اشْتَدَّ سَوَادُ عَيْنَيْهِ مَعَ اشْتِدَادِ بَيَاضِهَا، وَالْأَغْيَدُ النَّاعِسُ الطَّرْفِ الْمَائِلِ الْعِنَقِ.

^{٥٢} مِنْ قَبِيلِ الْمُوَانِسَةِ.

^{٥٣} كِلَاهُمَا شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ بِسَمَوِّ الْخِيَالِ وَرِقَّةِ الشَّعْرِ.

^{٥٤} جَاءَ مَوْعِدُهُ.

^{٥٥} الْمَوْرَسُ: ذُو اللَّوْنِ الْأَصْفَرِ، وَيَعْنِي بِهِ خَدَّهُ الَّذِي أَصْفَرَ مِنْ شِدَّةِ الْأَسَى وَالْحُزْنِ، وَالْمُورَدُ: ذُو اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ، وَيَعْنِي بِهِ خَدَّ حَبِيبِهِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْوَرَسِ، وَهُوَ نَبَاتٌ فِي الْيَمَنِ لَوْنُهُ أَصْفَرٌ.

^{٥٦} الْمَطَرِ.

^{٥٧} الرَّزِينِ الْمُتَكَامِلِ.

كَمَوْنَ المَنَايَا فِي الحُسَامِ المُهَنْدِ
وَيَوْمِي — بِحَمْدِ اللَّهِ — أَحْسَنُ مِنْ عَدِي
وَأَطْيَبُ مِنْ عَيْشِ الهَنِيِّ المُرْعَدِ
وَأَخْرَجْتُ قَلْبِي طَيِّبَ النَفْسِ عَنْ يَدِي

وَأَنَّ الهَوَى فِي لَحْظِ عَيْنِكَ كَامِنٌ
أَظْلُ، وَيَوْمِي فِيكَ هَجْرٌ وَوَحْشَةٌ
وَصَالُكَ أَشْهَى مِنْ مُعَاوِدَةِ الصَّبَا
عَلَيْكَ فَطَمْتُ الْعَيْنَ عَنْ لَذَّةِ الْكَرَى

دين العشق!

تَرَاهُ عَلَى خَدَّيْهِ يَنْدَى وَيَبْرُدُ
وَشَمْلُ اعتقادي فِي هَوَاهُ مُبَدَّدُ
مَجُوسِيَّةٌ مِنْ خَدِّهِ النَّارَ تَعْبُدُ!

وَالْمَى، بِقَلْبِي مِنْهُ جَمْرٌ مُوجَّجٌ^{٥٨}
يُسَائِلُنِي: مَنْ أَيُّ دِينٍ؟ مُدَاعِبًا!
فَوَادِي حَنِيفِيٍّ، وَلَكِنْ مُقْلَتِي

الخال!

سَوَادُ العُتْبِ فِي نُورِ الْوِدَادِ
فَنَقَطَ خَدَّهُ بَعْضُ الْمِدَادِ
بِهَا اهْتَدَتْ الشُّجُونُ^{٦٠} إِلَى فَوَادِي!

كَأَنَّ الْخَالَ^{٥٩} فِي وَجَنَاتِ مُوسَى
وَحُطَّ بِخَدِّهِ لِلْحُسْنِ وَأُوْ
لَوَاحِظُهُ مُحِيرَةٌ، وَلَكِنْ

تحبب وتوسل

فِيهِ انْتَهَى الْحَسَنُ مَجْمُوعًا، وَمِنْهُ يُدِي
فِيهَا، وَلَا جِيْدُهُ حَلِيًّا سِوَى الْغَيْدِ
لَوْ أَنَّ صِرْفَ عَقَارِ^{٦٢} ذَابَ مِنْ بَرْدِ

أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ، لَا يَأْوِي لَذِي كَمَدٍ
لَمْ تَدْرِ الْحَاطَّةُ كُحْلًا، سِوَى كَحْلٍ^{٦١}
حَسَبْتُ رِيْقَتَهُ مِنْ ذَوْبِ مَبْسَمِهِ

^{٥٨} مَنَّقَد.

^{٥٩} نَقْطَةُ سُودَاءِ فِي الْخَدِّ الْجَمِيلِ.

^{٦٠} الْحَزْنُ الَّذِي يُبَيِّرُهُ الْهَجْرُ.

^{٦١} الْكَحْلُ: سَوَادٌ طَبِيعِي يَزِينُ الْعَيْنَ كَالْكُحْلِ.

^{٦٢} خَمَر.

لو قيل والنفْسُ رهْنُ الموتِ مِنْ ظمَأٍ
موسى تصدَّقْ على مسكينِ حبِّكَ لا
لا تَقْذِ بالنَّأْيِ والإِعْرَاضِ عَيْنَ شَجٍّ
رُزْنِي فلو كُنْتَ تَسْخُو بالعِناقِ لَمَّا
موسى أو البارد السلسال لم أُرِدْ!
تَرَدَّ كَفِّي فَقَدْ باتَتْ على كِبِي
أذاقها فيك طعمَ الدمعِ والسُّهدِ
أبقيتَ رُوحِي لها التعذيبُ مِنْ جَسَدِي!

شغف بغير فؤاد

أَعِذْ خَبَرَ التَّلَاقِي عَنْ مَلُولٍ
وطارِخني الشُّجونَ على حذارٍ
فأَمَّا مُقْلَتِي، وَاللَّحْظُ حَتْفُ
يَسُوعُ وَيَلْتَقِي حَسَنُ وَذَنْبُ
أليس مِنْ العجائبِ حالُ صَبٍّ
كأَنِّي عنْدَه خَبْرُ مُعَادٍ!
فبي حرقُ يذُوبُ لها الجِماءُ
فمذُ عَرَفْتَه أَنْكَرَها الرُّقادُ
وليس يَسُوعُ حَبٌّ وانقيادُ
له شَغَفٌ وليس له فؤادُ!

أمنيات!

هو البَيْنُ، حتى لم يَزِدْكَ النَّوَى بُعْدًا
أيا فتنةً في صورةِ الأنسِ صُوِّرَتْ
جَبِينُ، وَالْحَاضُ، وَجيدٌ، لأجلِها
وكم سُئِلَ المسواكُ عن ذلك اللَّمِي
ألا ليتَ شِعْري، والأُماني كثيرةٌ
أتَأَنَسُ عيني بالكَرْي بعد نفرةٍ،
ويسمَحُ في ليلِ الصُّدودِ بزُورَةٍ
عجائب لم تُدْرِكْ، فعنقاءُ مُغْرِبٍ
ترحَّلْ قبلَ البَيْنِ لا شكَّ من صَدَا
ويا مُفَرِّدًا في الحُسْنِ غادَرْتَنِي فَرَدًا
أضاعَ الأناثُ التاجَ، والكحلَ، والعِقْدَا!
فأخبرَ أَنَّ الرِّيقَ قد عطَّلَ الشَّهْدَا!
وأكذَّبُها في الوَعْدِ أعذَّبُها وَرَدًا!
ويكحلُ مِيلٌ^{٦٣} الوصلُ مُقْلَتِي الرُّمْدَا!
يُصَيِّرُ فيها الشَّوْقُ حُرَّ المني عَبْدًا!
وإقبالُ موسى أو زمانُ الصِّبا رَدًا!

^{٦٣} ما يستعمل للكُّل، وهو المعروف بالمِرْزُود.

النهاية

فينسخُ هجرَ اليوم وصلُّك في غدٍ؟
أقمتَ بذاك الحبلِ مُسْتَمْسِكَ اليَدِ!
ومن أنسِ مألوفٍ بحالةٍ مُفَرِّدٍ
وصعبُ على الإنسانِ ما لم يُعَوِّدِ
وأغريتَ بالتَّسْكَابِ جَفْنَ المُسْهَدِ
وتفعلُ بالألحاظِ فعلَ المُهَنَّدِ
وبهجةٍ إشراقٍ بها الصُّبْحُ يَهْتَدِي
كَمِيلِ نسيمِ الرِّيحِ بالغُصَنِ النَّدِي
فهلَّا رأى في العُطْفِ سُنَّةَ مُقْتَدٍ؟
يسومُ^{٦٧} به الأحرارَ ذِلَّةَ أَعْبُدِ!
على كلِّ حالٍ فهو غيرُ مُقْنَدٍ!^{٦٨}
وقد زاد رَوْعِي صوتُ حادٍ مُغَرِّدٍ:
إذا حِيلَ بين الزَّادِ والمُتَزَوِّدِ
حديثُ الأمانِي مَوْعِدًا بعدَ مَوْعِدِ
صُرُوفُ اللَّيَالِي مُسْعِدَاتُ بِأَسْعِدِ
تَرْوُحُ بتسليمٍ عليكِ وتَغْتَدِي

أما آن أن تَرُثِي لحالةٍ مُكْمَدِ
أراك صَرَمْتَ^{٦٩} الحبلَ دُونِي، وطالَمَا
وعوْضْتَنِي بالسُّخْطِ من حالةِ الرِّضَا
وما كنتمو عودتمُ الصَّبَّ جَفْوَةً
طويتَ شغاف^{٧٠} القلبِ موسى على الأسَى
وما أنتِ إلَّا فتنةٌ تَغْلِبُ النُّهَى^{٧١}
وتوَجَّكَ الرحمنُ تاجَ مَلاحَةٍ
يَمِيلُ بذاك القَدِّ سَكْرُ شَبَابِهِ
ويهفو؛ فيَهْفُو القلبُ عندَ انْعِطافِهِ
أبى الله إلَّا أن يَعْزَّزَ جمالُهُ
له الطُّولُ^{٧٢} إن أدنى، ولا لومَ إن جفا
أقول له — والبين زُمْتُ رِكابُهُ
دنا عنكَ نَرَحَالِي، وما لي حيلةٌ
وإني، وإن لم يَبْقَ لي دونُكم سوى
لأصبرُ طَوْعًا، واحتمالًا، فربما
وأبعثُ أنفاسي إذا هَبَّتِ الصُّبَا

^{٦٤} قطعت.

^{٦٥} شغاف القلب: غِلافه.

^{٦٦} العقول.

^{٦٧} يُذِيق.

^{٦٨} القُدْرَة.

^{٦٩} ملوم.

بين الواقع والرجاء

لقد كنتُ أرجو أن تكونَ مُواصلِي فأَسْقَيْتَنِي بِالْبُعْدِ فَاتِحَةَ الرَّعْدِ^{٧٠}
فباللهِ بَرْدٌ ما بقلبي من الجوى بفاتحةِ الأعرافِ^{٧١} من ريقك الشَّهْد!

وصف شاعر

كيف خلاصُ القلبِ من شاعرٍ رَقَّتْ معانيه عن النِّقْدِ
يَصْغُرُ نثرُ الدُّرِّ من نثره ونظمه جلٌّ عن العقْدِ
وشعره الطائلُ في حسنه طالَ على النابغةِ الجَعْدِي^{٧٢}

لماذا؟

تسلَّيتُ عن موسى بحُبِّ محمدٍ هُديتُ، ولولا الله ما كنتُ أَهْدِي
وما عن قلِّي قد كان ذاك، وإنما شريعةُ موسى عَطَّلْتُ بِمحمدٍ

(٦) حرف الراء

بين الحبيبين

سَلْ في الظَّلامِ أَخاك البَدْرَ عن سَهْرِي تَذْري النجومُ كما يَذْري الْوَرَى خَبْرِي
أَبَيْتُ أَهْتَفُ بالشكوى، وأشرب من دمعِي، وأنشَقُ رِيًّا ذَكَرَكَ الْعَطْرِ

^{٧٠} يعني ابتداءها اللَّفْظِي الذي هو: أَلَف، لَام، مِيم، راء يعني «الْمَرَّ».

^{٧١} بدوُّها اللَّفْظِي الذي هو: أَلَف، لَام، مِيم، صاد؛ أي «الْمَصَّ».

^{٧٢} هو عبد الله بن قيس بن جَعْدَة بن كعب بن ربيعة، شاعرٌ جاهليٌّ أدركَ النبي ﷺ وأنشده:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكنْ له بوايدُرْ تحمي صفوه أن يكدرُا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أصدرَ الأمرُ أوردُا

فقال له النبيُّ: «لا يَفْضُضُ اللهُ فاك.» وقد عُمِّرَ حتى أدركَ الأخطَل، وتنازعا الشَّعرَ، ومات وهو ابن ١٢٠ سنة.

بين الرِّياض وبين الكاس والوَتَرِ
أُؤْمِتْ إلى غيرِه إيماءً مُحْتَضِرِ!
تَغْنَى الدَّراري عن التَّقْلِيدِ بالدُّرَرِ
كلاهما أَبَدًا يَدْمَى من النُّظَرِ
أتى بها الحُسْنُ من آياتِه الكُبَرِ
وراقها الورْدُ فاستغْنَتْ عن الصَّدَرِ
تأملوا كيف هامَ الغُنْجُ بالحوَرِ!
أوتيتَ سؤلك يا موسى على قَدَرِ
أو تُضِنِنِي فمُحَاقُ جاءَ من قَمَرِ
أني سقيمٌ، وَمَنْ للُعْمَى بالعَوَرِ؟!
كانتْ نجومُ السما تُجْزَى عن البَشَرِ
لو يُطَرَّدُ الفقرُ بالأَسْجَاعِ والفَقَرِ
شِعْرٍ أَعَاتِبَ فيه الليلَ بالقَصَرِ

حتى أُخَيِّلَ أني شاربٌ ثَمَلُ
مَنْ لي به! اِخْتَلَفَتْ فيه المَلَاةُ إذْ
معطَلٌ، فالْحُلَى منه محلَّةُ
بخدِّه لفؤادي نسبةٌ عَجَبُ
وخالُه نقطةٌ من غُنْجٍ مقلَّتِه
جاءَتْ من العين نحو الخدِّ زائِرَةً
بعضُ المحاسنِ يَهْوَى بعضُها طَرَبًا
جرى القضاء بأنْ أَشَقَى عليك وقد
إِنْ تَعَصِنِي فَنِفَارُ جاءَ من رَشَا
قد مِتُّ شوقًا، ولكنْ أَدْعِي شَطَطًا
سأقتضي منك حَقِّي في القيامةِ إِنْ
أنا الفقيرُ إلى نَيْلِ تجودِ به
بَرَزْتُ في النِّظْمِ لكنِّي أَقْصَرُ عن

استنصار

لَمَّا اشْتَدَّ الحِصَارُ على إِشْبِيلِيَّة سنة ٦٤٥ أنشدَ يستنصرُ بأمراءِ العرب:

شَيْمَ الحَمِيَّةِ كَابِرًا عن كَابِرِ!
بيعوا، وَيَهْنِكُمُ ثَوَابُ المُشْتَرِي
وبكم تَمَهَّدَ في قَدِيمِ الأَعْصَرِ

يا معشرَ العُرَبِ الذين توارثوا
إِنَّ الإلهَ قَدْ اشْتَرَى أَرْوَاحَكُم
أنتم أحقُّ بِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّكُم

* * *

أَلَّا تَجُوسَ حَرِيمَ رَهْطِ الأَصْفَرِ
من مَعْشَرٍ، كم غَيَّرُوا من مَشْعَرِ
من جَلِيَّةِ التَّوْحِيدِ صَهْوَةَ منبرِ
والنارِ تُخْبِرُ عن ذِكَاءِ العَنْبَرِ
عمدًا بنفسِ الوَامِقِ المُتَحَيِّرِ
ودعاكُمُ: يا أُسْرَتِي يا مَعْشَرِي!

والخيلُ تضجُرُ في المِرابِطِ عِرَّةً
كم نَكَّرُوا من مَعْلَمٍ، كم دَمَّرُوا
كم أَبْطَلُوا سُنَنَ النُّبِيِّ وَعَطَّلُوا
عندَ الخُطُوبِ النُّكْرَ يبدو فضلكم
لو صُوِّرَ الإسلامُ شَخْصًا جاءكم
لو أَنَّهُ نادَى النُّصِيرَ لَخَصَّكُم

تعليل!

هَجَرْتُ الْكَرَى وَاللَّبَّ وَالْأَنْسَ وَالصَّبْرَا
حَيَاتِي ذَنْبًا بَعْدَ بُعْدِكَ أَوْ غَدْرَا
أُدِيرُ عَلَيْهِ الْخَمْرَ، وَالْأَدْمُعَ الْحَمْرَا
إِذَا قَبَلْتُ عِنْدَ الْمُنَى ذَلِكَ النَّغْرَا

أموسى! ولم أَهْجُرْكَ، والله، إنما
تركتُكَ لَانْقِضَا لعهدي بل أرى
قنعتُ — على رغمي — بِذِكْرِكَ وحده
أُقَبِّلُ من كأسِ المُديرِ حُبَابَهَا^{٧٣}

معجزات

وَالنَّاسُ يَسْتَهْذُونُ بِالْبَدْرِ
وَجَاءَ مُوسَى الْيَوْمَ بِالسَّحْرِ^{٧٤}
فَلَا تَرْمُهُ بِسِوَى الْفِكْرِ
لَأَصْدَافٍ، وَالشَّائِدِ فِي الْقَفْرِ
أَلْقَتْهُ بَيْنَ السَّحْرِ وَالنَّحْرِ!
إِذَنْ لِلْبَّاهِ مِنَ الْقَبْرِ!
فَلَقَّبُوهُ الْكُوكَبَ الدُّرِّيَّ
مِنْ عَيْنِهِ النَّاسَ هَوًى يَسْرِي
سَوَادُ قَلْبِي فِي لَطَى الْجَمْرِ
فَاسْوَدَّ مِنْهُ مَوْضِعُ الْوَزْرِ
لَعَلَّهَا تَنْفَعُ أَوْ تَبْرِي!
وَاسْفِكَ دَمِي حُلُوءًا وَخَذْ أَجْرِي
— هَجَرَ أَشْفَقَ لِلْهَوَى الْعُذْرِي
وَأَنْتَ فِي عَيْنِي كَمَا تَدْرِي
أَمَنْتَ أَنْ تَغْرِقَ فِي الْبَحْرِ

ضَلَلْتُ بِالْبَدْرِ عَلَى نُورِهِ
أَبْطَلُ مُوسَى السَّحَرَ فِيمَا مَضَى
مُسْتَحْسِنُ الْأَوْصَافِ، مَمْنُوعُهَا
كَالْمَاءِ فِي السُّحْبِ، وَكَالْدُرِّ فِي الْـ
لَوْ أَنَّهُ عَنْ^{٧٥} لِحُورِيَّةٍ
وَلَوْ دَعَا مَيْتًا بِالْفَاطِظِ
دُرٌّ ثَنَائِيَّاهُ وَالْفَاطِظِ
مَا عَوَّذُوهُ الْعَيْنَ بَلْ عَوَّذُوا
كَأَنَّمَا الْخَالُ عَلَى خَدِّهِ
أَجْرِي دَمِي فِي خَدِّهِ صِبْغَةً
يَا طَرَفُهُ الْمَعْتَلُّ! خُذْ مُهْجَتِي
وَلَا تَرُدَّ اللَّحْظَ عَنْ مُقْلَتِي
يَا يَوْسُفَ الْحُسْنِ يَا سَامِرِيَّ الْـ
أَحْشَى عَلَيْكَ الْفَيْضَ مِنْ أَدْمَعِي
أَنْتَ — عَلَى التَّحْقِيقِ — مُوسَى فَقَدَ

^{٧٣} حباب الماء — بفتح الحاء: نَفَاحَاتُهَا التي تلعو، وكذلك في الخمر.

^{٧٤} يقصد بموسى الذي أَبْطَلُ السَّحَرَ موسى الرسول، عليه السلام، وحكايته مع سَحَرَةِ فرعون معروفة في القرآن الكريم، ويقصد بموسى الأخير محبوبته الذي يَتَغَزَّلُ فيه.

^{٧٥} بدا.

جمال الطبيعة

الأرضُ قد لبستُ رداءً أخضرًا
هاجتُ فخلتُ الزَّهرَ كافورًا بها
وكأنَّ سوسنَها يُصافحُ وردها
والنهرُ ما بين الرِّياضِ تخالُه
وجرتُ بصفحتِها الرُّبا فحسبتُها
وكانه — إذ لاح — ناصعُ فضة
والطيرُ قد قامتُ به حُطباؤه

والطلُّ^{٧٦} ينثرُ في رُباها^{٧٧} جَوْهرا
وحسبتُ فيها التُّربَ مسكًا أذفرا^{٧٨}
ثغرُ يُقبِلُ منه خدًا أحمرًا
سيقًا تعلّق في نجارٍ^{٧٩} أخضرا
كفًا ينمّق في الصّحيفة أسطرا
جعلته كفُ الشمسِ تبرًا أصفرا
لم تتخذ إلا الأراكِة منبرًا

الشاعر الموسيقار

تنقادُ لي الأوتارُ وهي عصيّة
ولقد أزورُ مع القسيّ أهلةً

فأذلُّ منها كلَّ ذي استكبارٍ
فأعيرُهن دوائرَ الأوتارِ

العاشق المودع

ولمّا عزمنا ولم يَبْقَ مِن
بكيتُ على النّهرِ أخفي الدُّموعَ
ولو علمَ الركبُ خطّبي^{٨٠} إذنْ
إذا ما سرى نَفْسي في الشّراعِ
وقَفنا سَحيرًا^{٨٢} وغالبتُ شوقي

مُصانعةِ الشوقِ غيرَ اليَسيرِ
فعرّضها لونها للظهورِ
لَمّا صَحِبوني عندَ المَسيرِ
أَعادَهُمُو نحوَ حمص^{٨١} زفيري
فنادى الأَسَى حُسْنَه مَن مُجيرِ؟

^{٧٦} المطر الضعيف.

^{٧٧} جمع روبة، وهي ما ارتفع من الأرض.

^{٧٨} واضح الذفر؛ أي: الريحَة الزكية.

^{٧٩} حمائل السيف.

^{٨٠} الخطب: سبب الأمر.

^{٨١} هي مدينة إشبيلية، وقد كانت تُسمّى بحمص.

^{٨٢} تصغير سحر، وهو ما قبيل الصبح من الوقت.

أنارٌ وقد وَقَدَتْ زفرتي
ومنَّ الفراقُ بتوديعه
وقَبَّلْتُ وجنَّتَه بالدموعِ
وردتُ، وصدَّقْتُ عندَ الصُّدُورِ
وقَبَّلْتُ في الترب منه خُطَاً
أموسى! تَمَلَّ^{٨٤} لذِيزِ الكَرَى
تغرَّبَ نومِي عن ناظري
وما زادَكَ البينُ بُعْدًا سوى
طردتُ الرجا فيك عن حيلتي

فصار الغدُو كوقتِ الهَجِيرِ؟
فشَبَّهْتُ ناعي النُّوى بالبَشِيرِ
كما التَّقَطَّتْ وَرْدَةٌ من غَدِيرِ
حديثِ قلوبِ نأتْ عن صُدُورِ
أُمَيِّزُها بِشَمِيمِ العَبِيرِ^{٨٣}
فليليَ بعدَكَ ليلُ الضَّرِيرِ
وبأتَ حديثُ المُنَى في ضميري
سَنَا الشمسِ من مُنَجِدٍ أو مُغِيرِ^{٨٥}
وَوَكَّلَتْه بانقلابِ الأمورِ

ليلة وصال

زار ليلاً، فظَلْتُ من فرحتي أحـ
قلتُ: هذا خياله، ليس هذا
ولكم بتُ أحسبُ الطَّيفَ شَخْصًا
سدلتُ^{٨٦} ليلةَ الوصالِ علينا
نُبْتُ منها والبدرُ يُسْفِرُ في الأفـ
شاربًا في الأقداحِ نجمُ شعاع
مِتُّ قبلَ اللقاءِ شَوْقًا، فلمَّا
أنا مِيتٌ في الحاليتين ولكنَّ

سبب — إذ زارني — الحقيقة زُورًا
شخصه، والغرامُ يُعْمي البَصِيرًا
أحسبُ الحُسْنَ لا يَزُورُ غُرُورًا
ظلمةٌ تَمَلُّ الخواطرَ نورًا
ق حَسُودًا، والنجمُ يَهْفُو غَيُورًا
لاثِمًا في الأطواقِ بدرًا مُنِيرًا
جاءَ لي باللقاءِ مِتُّ سُورًا
هَجَرَ الموتُ عاشقًا مَهْجُورًا

^{٨٣} أخلاط حلوة الرائحة أو الزعفران.

^{٨٤} تمتع به.

^{٨٥} سنا الشمس: ضياؤها، والمنجد من اعتلا نجدًا؛ أي مرتفعًا من الأرض، والمُغِير من هبط غورًا؛ أي منخفضًا منها، ويقصد أنك في بُعدك هذا مائلٌ أمامي أيضًا؛ لأنك كالشمس لا تحتجب عن المعتلي نجدًا أو

النازل غورًا.

^{٨٦} أُرْحَت.

حول قُبْلَة

يقولون: لو قُبْلَتَهُ لاشْتَفَى الْجَوَى^{٨٧}
ولو غفلَ الواشونَ قُبِلْتُ نَعْلَهُ!
وَمَنْ لي بوعدٍ منه أَشْكُو بِخُلْفِهِ؟
وما أنا مَنْ يَسْتَحِمِلُ الرِّيحَ سَرَّهُ
يقول ليّ اللّاحي وقد جدَّ بي الهوى
ألم تُرَوِّ قَطُّ: اصْبِرْ لِكُلِّ مُلِمَّةٍ؟
إذا فُتِّ العُدَالِ جاءتْ بِسِحْرِهَا
أَيطمَعُ في التَّقْبِيلِ مَنْ يَعشَقُ البَدْرَا؟
أَنْزَهْهُ أَنْ أَذْكَرَ الجَيْدَ والتَّغْرَا
وَمَنْ لي بعهدٍ منه أَشْكُو به الغَدْرَا؟
أَغَارُ حِفَاظًا أَنْ أُبِيحَ له السَّرَا!
لِيُلْهَمَنِي في سوءِ تَخْيِيلِهِ الصَّبْرَا!
فَقُلْتُ: أَمَا تُرَوِّى: لَعَلَّ له عُدْرَا؟
ففي لَحْظِ موسى آيَةٌ تُبْطِلُ السَّحْرَا^{٨٨}

حسنا!

وزاهرة المرأى، معطرة الشذا
رقت مثل مذعورِ الضُّبَاءِ، وإنما
وقد طرقت بيض البنانِ بأسودِ
قد ابتدعتُ خَلْقًا من المسك والنورِ
مشت مثل ما يمشي القَطَا غيرَ مَذْعُورِ
كما تستمدُّ المسكُ أقلامُ كافورِ

بين يدي حبيب مريض

لك العذرُ إنْ لم أعدْ زُورَةً
علمت بأنِّي جلمودُ صخرِ
فديتُكَ! إني امرؤُ قد سَرَى
لئنْ مسَّ جسمَكَ حرُّ الضَّنَا
ولو قيل أحسنَ ثم اعتَذَرَ
فلو أنني عدتُ قالوا مَكْرُ^{٨٩}
إلى قدمي من لساني حَصَرَ^{٩٠}
ولوح^{٩١} ذاك المُحِبِّ الأغرَّ

^{٨٧} الحُرْقَة وشدة الوجْد.

^{٨٨} إشارة إلى قصة السَّحرة مع كليم الله موسى، عليه السلام، إذ ألقوا حبالهم وعصيتهم وقالوا: بعزة فرعون إنا لغالبون، فألقى موسى عصاه، فإذا هي تَلْقَفُ ما يَأْفِكُون!

^{٨٩} من كرَّر الشيء إذا أعاده.

^{٩٠} عجز.

^{٩١} غيَّر بتشديد الياء.

فما الحرُّ في الشمس مُسْتَعْرِبٌ
وكم ذاقَ جَمْرًا أخوكَ النُّضَارُ
تطلَّعتَ كالصَّحْوِ بعدَ الغيومِ
حديثَ العُلى عنكَ مُسْتَحْسَنُ
تحقَّق قولُكَ والفصلُ فيه
وكم باطلٍ ذائعٌ قَيَّضَتْ^{٩٢}
وكم أنبتَ الشعَرَ وردَ الخُدودِ
ولا عجبٌ لَشُحوبِ القَمَرِ
وَمُشْبِهُكَ المَشْرِفِيُّ الذَّكْرُ^{٩٢}
وَأَمْسَكَتَ مِثْلَ امْتِسَاكِ المَطَرِ
حديثٌ إذا أَمْتَعَ النفسَ سَرِ
فصحَّ العيانُ، وصحَّ الخبرُ
أباطيلُه تُرْهَاتُ^{٩٤} أُخْرَا!
وسلَّ عليها سِيوفُ الحَوَرِ؟!

أبكار الأشعار

أَكْثَوْسًا بَدَتْ بِأَيْدِي سُقَاةٍ
وكأنَّ الإبريقَ جِيدُ غَزَالٍ
قهوةٌ^{٩٥} إنْ جَرَى النِّسِيمُ عليها
نال منها الصِّبَا — ولا بدَّ — سَكْرًا
حنَّها من كئوسه — رانياتُ
فتنةٌ للعيون تُدْعَى بَغْنَجُ
كيممين ابن خالد^{٩٧} حين تُدْعَى
أَمْ نُجُومًا تَسْعَى بها أَقْمَارُ؟
دُمُ ذَاكَ الغَزَالِ فيه العَقَارُ
كاد يعلوه من سَنَاهَا^{٩٦} احْمِرَارُ
فلهذا يُعَزَى إليها العِثَارُ
عن فتورٍ بلخظه — خَمَارُ
حَيَّرَتْ ذَا النُّهَى، وقيل اخُورَارُ
راحةً، وهي دِيَمَةٌ مِدْرَارُ^{٩٨}

^{٩٢} المشرقي: سيفٌ يُنسَبُ إلى مشارف، وهي قُرَى من أرض العرب، وسيفٌ ذَكَرَ أي ذو ماء، وهو الحديد المصنوع الذي يُعرَف عند العامة بالمسْقِي.

^{٩٣} أتاحَتْ.

^{٩٤} جمع تُرْهَة، فارسي معرب، استعيرت للباطل.

^{٩٥} القهوة والعَقَار هما الخمر.

^{٩٦} ضيائها.

^{٩٧} قائدٌ عسكريٌّ ووزيرٌ موصوفٌ بالكرم، ورِقَّةُ الشمائل، والعَطْفُ على الأدب والأدباء، واختَصَّ بالقِسْطِ الأَوْفَر من ذلك شاعرنا حتى فاز منه بالمدح التي تراها مع أَنَّ ابن سهل غير مدَّاح، كما اختَصَّ بمَرثِيَّةٍ بديعةٍ ستمرُّ بك، إن شاء الله.

^{٩٨} الديمة: سحابة فيها ماء.

لستُ أدري يُسرِّين للعُسر إلا
بَدَرُ المالِ كالْبُدُورِ، ولكنْ
تَسْكَبُ الجُودَ عندَ رَحْمَةِ عَافٍ
أَرْجِهْ، فالْمُنَى طَوَالُ لِرَاجِ—
تَسْتَمِدُّ السَّحَابُ بِالْبَحْرِ لَكُنْ
مَاجِدٌ حَازَ فِي المَعَالِي احتِفَالًا
جَاءَنَا آخِرَ الزَّمَانِ كَمَا تَفُ
وَدُبَابُ ١٠٠ الهنديُّ أَشْرَفُهُ، لِيـ
أَحْمَدُوا خَلْقَهُ ابْتِدَاءً وَعَوْدًا
بَطْشُهُ فِي سَنَا البَوَارِقِ خَطْفُ
طَبَقِ الأَرْضِ زِكْرُهُ فَلَهُ فِي
وَمَعَ الشَّمْسِ أَيْنَ لَاحَتْ شُرُوقُ
لَقَبُ المَجْدِ فِيهِ صِدْقٌ، وَلَكِنْ
زَارَنَا وَهُوَ سُؤْلُنَا وَكَذَا الغِيـ
فَلَوْ أَنَّ البُرُوجَ قَامَتْ إِلَى البَدِ
نَزَلَتْ نَحْوَهُ النُّجَادُ خُضُوعًا
حَيْثَمَا كَانَ فَالزَّمَانِ رَبِيعِ
وَالْحَصَى، وَهُوَ تَحْتَ نَعْلَيْهِ، دُرٌّ
لَوْ يُنَادَى: أَيْنَ الجَوَادُ بِحَقٍّ؟
«جَدُّ عَلَى يَوْسُفَ بِمِصْرَ شَرِيش ١٠١
حَسَدَتْهَا العِرَاقُ، والأَرْضُ تَنْتَ
عُودُهُ فِي الإِحْسَانِ عُوْدٌ نُضَارِ
بِكَ عَزَّتْ لِمَا حَوَتْكَ، وَلَوْلَا الرَّ

رَاحَتِيهِ إِذَا عَتَا الإِقْتَارُ
نَالَهَا مِنْ نَدَا يَدِيهِ السَّرَارُ ٩٩
كَرْحِيقٍ عَلَى الغِنَاءِ يُدَارُ
يَهْ، وَأَيْدِي الخُطُوبِ عَنْهُ قِصَارُ
مِنْ عَطَايَاهُ تَسْتَمِدُّ البِحَارُ
فَهُوَ فِي طَرَقِهِ إِلَيْهَا اخْتِصَارُ
تَرُّ عِنْدَ الْأَصَائِلِ الْأَزْهَارُ
حَسَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّأَخُّرِ عَارُ
فَهُوَ كَالْخَمْرِ لَمْ يَشُبْهَا الخَمَارُ
وَتَأَنِّيهِ فِي الجَمَالِ وَقَارُ
كُلِّ أَفَقٍ مَعَ الهَوَاءِ انْتِشَارُ
وَمَعَ الرِّيحِ حَيْثُ طَارَتْ مَطَارُ
هُوَ لَفْظٌ لِغَيْرِهِ مُسْتَعَارُ
سَتْ يَزُورُ الثَّرَى، وَلَيْسَ يُزَارُ
رِ اشْتِيَاقًا قَامَتْ إِلَيْهِ الدِّيَارُ
وَتَعَالَتْ شَوْقًا لَهُ الْأَغْوَارُ
وَاللِّيَالِي بِأَنْسِهِ أَشْحَارُ
وَتَرَابُ البَطْحَاءِ مَسْكُ يُثَارُ
قَالَ كُلُّ إِلَى الوَزِيرِ يُشَارُ
وَعَطَايَاكَ نِيلُهَا المُسْتَجَارُ!
شُ فَبَعْضُ مِنْهَا بَبْعُ يَغَارُ
وَسَجَايَاهُ — إِنَّ مُسْكَنَ — نَهَارُ
أَح لَمْ تُمْتَدَحَ دِنَانُ وَقَارُ

٩٩ البَدَرُ: جمع بَدْرَة، وهي عشرة آلاف درهم، والسَّرَارُ الاختفاء، وَيُرِيدُ أَنَّ مَالَهُ كَثِيرٌ يَذْهَبُهُ الكَرَمُ.

١٠٠ ذَبَابُ السِّيفِ نَهَايَتُهُ العُلْيَا.

١٠١ هَكَذَا وَجَدْتُ فِي جَمِيعِ المَصَادِرِ الَّتِي رَاجَعْتُهَا.

أَيْهَذَا السَّحَابُ، دُونَكَ مَنِّي
بِكَ يَسْمُو حُلَى الْقَرِيضِ، وَلِلْغَنَدِ
نَضَرْتُ لَوْ أَنَّ النُّجُومَ عُقُودُ
لَا تَلُمُ فِي الْحَيَاءِ هَذِي الْقَوَافِي
زَاهِرًا مِنْ كِمَامِهَا الْأَقْطَارُ
حَجَّ بَعَيْنِ الظُّبْيِ الْغَرِيرِ افْتِخَارُ
فِي حُلَاهَا، أَوْ الْهَلَالِ سَوَارُ
لَيْسَ بِدَعَا أَنْ تَخْجَلَ الْأَبْكَارُ

مثل العاشق في النحو

رَقَّتْ عَوَامِلُهُ، وَأَحْسَبُ رُبَّتِي
بُنَيْتَ عَلَى خَفْضِ فُلْنٍ تَتَعَرَّى!

مثل المعشوق في النحو

تَنَأَى وَتَدَنُو وَالتِّفَاتُكَ وَاحِدُ
كَالْفِعْلِ يَعْمَلُ ظَاهِرًا وَمُقَدَّرًا!

(٧) حرف السين

النهاية!

أَضَاعَ وَقَارِي مَنْ عَلِقْتُ جَمَالَهُ
وَمَا ضَرَّ لَوْ وَاسَى وَسَلَى بِزُورَةٍ
فَأَلْقَطُ دُرًّا مِنْ لَذِيذِ حَدِيثِهِ
وَأَرْخَصْتُ عَمْرِي فِيهِ، وَهُوَ ذَخِيرَتِي
وَعَادَرْتُ رَأْيِي بِالْعَرَاءِ مُذَمَّمًا
وَأَفْسَدْتُ بَيْنَ النُّومِ فِيهِ وَنَاطِرِي
سَأَصْرِفُ صَرْفَ الْحَرْفِ عِنْدَ مَطَامِعِي
أَمَّا حِيلَةٌ فِيهِ فَيَعِشْ قُ سَاعَةً
فِيَا زَهْرَةً قَدْ زَلْزَلْتَ جَبَلًا رَاسِي
خَلِيٌّ جَرَى فِيهِ الْقَضَاءُ عَلَى رَاسِي
وَأَشْرَبُ طَيْبَ الْعَيْشِ مِنْ فَضْلَةِ الْكَاسِ
وَأَنْفَقْتُ فِيهِ كَنْزَ صَبْرِي وَإِينَاسِي
وَأَوْحَشْتُ نَفْسِي فِيهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ
وَأَكْذَبْتُ وَدًّا بَيْنَ فِكْرِي وَوَسْوَاسِي
وَأَوَى بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْهُ إِلَى الْيَاسِ
عَلَى رُقِيَّةٍ أَرْقِي بِهَا قَلْبَهُ الْقَاسِي؟!

أمنيات

مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةٌ تَبْعَتْ الْأَسَى
أَتَانِي حَدِيثُ الْوَصْلِ زُورًا عَلَى النَّوَى
أَدَارِي بِهَا هَمِّي إِذَا اللَّيْلُ عَسَّعَسَا
أَعِدْ ذَلِكَ الزُّورَ اللَّذِيذَ الْمُؤَانَسَا

وجدت الأمانى خذ قلوباً وأنفساً
من النوم ما أقرى الخيال المعرساً
رداءً وأسقاني من الحب أكؤساً
ولا خلع الله الرداء الذي كسا
شذا الرّوض في حرّ الهجير تنفساً
لعل النوى منه تليّن ما قسا
وقد نسخت «لا» عنده ما دعت «عسى»
لعلّ منايانا تحوّلن أبؤساً؟
كأنى أنادي أو أكلّم أخرساً!

ويا أيّها الشوق الذي جاء زائراً
ويا أرقّ الهجران! بالله خلّ لي
كساني موسى من سقام جفونه
فلا صرّد الله الشراب الذي سقى
تلاقت لشكوى البين أنفاسنا فقل:
وناديت بالترحال عنه تصنعاً!
وقلت: عساه إن رحلت يرقّ لي
وقال: ارض هجراني بديل النوى، وقل
أنادي سلوي للذي حلّ منك بي

ساعة وصال

داعي الهوى، لا عطر بعد عروس
عن وصل موسى بعد طول عبوس؟
في وجنة وملابس وكئوس
تستحسن الألفاظ للتجنيس

هذا أو أن فصيحتي لبّيك يا
أو ما ترى الأيام كيف تبسمت
يسقى، وزهر الرّوض منه طالع
شتى يحسنها التشابه مثل ما

وقفة على خليج

صبغ وجه العشيّ بالورس؟
في وجنة النّهر وردة الشمس
فيه، وذوب النضار في الكأس

كيف ترى زورة الخليج، وقد
ورق ثوب الأصيل، وانفتحت
تلهو بذوب اللجين مطرداً

توشيح

قلب صبّ حلّه عن مكّنس؟
لعبت ريح الصبا بالقبس

هل درى ظبيّ الحمى أن قد حمى
فهو في حرّ، وخفق مثل ما

* * *

يا بُدورًا أشرقَتْ يومَ النوى غُرًّا تَسْلُكُ بي نَهَجَ الغَرَرِ
ما لِنَفْسِي في الهوى ذَنْبٌ سَوَى مِنْكَ الحُسْنَى، وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرُ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الجوى والتداني من حبيبي بالفكر
كَلِّمًا أَشْكُوهُ وَجَدِي بِسَمَا كالرُّبَا بالعَارِضِ^{١٠٢} المنبجِسِ
إِذْ يُقِيمُ القَطْرُ فِيهَا مَاتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عَرَسِ

* * *

غَالِبٌ لِي، غَالِبٌ بِالتَّوَدَّةِ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ!
مَا عَلِمْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدِهِ أَقْحَوَانًا^{١٠٣} عَصَرْتُ مِنْهُ رَحِيقَ
أَخَذْتُ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرَبِدَّةُ وفؤادي سُكَّرَهُ مَا إِنْ يُفِيقُ
فَاجِمُ اللَّمَّةِ^{١٠٤} مَعْسُولُ اللَّمَى ساحرُ الغُنْجِ شَهْيُ اللَّعَسِ^{١٠٥}
وَجْهُهُ يَتَلَوُّ الضُّحَى مَبْتَسِمًا وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جِزَاءُ الذَّنْبِ، وَهُوَ الْمَذْنِبُ
أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ وَجْنَتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ
ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَلَهُ خَذٌ بِلَحْظِي مُذْهَبُ
يُنَبِّتُ الْوَرْدَ بِغَرَسٍ كَلِّمًا لَاحِظَتُهُ مُقْلَتِي فِي الْخُلْسِ^{١٠٦}
لَيْتَ شِعْرِي! أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُغْتَرِسِ؟^{١٠٧}

* * *

^{١٠٢} السحاب يعترض في الأفق.

^{١٠٣} نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض، ووسطه أصفر، وهو المعروف في علم النبات بالبابونج.

^{١٠٤} الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.

^{١٠٥} اللون الضارب إلى السواد يكون في الشفة فيكسوها حلاوةً وجمالاً.

^{١٠٦} جمع خُلْسَة، وهي الفُرْصَة.

^{١٠٧} الزارع، ويعني نفسه؛ لأنه يقول إنَّ نظرتَه يَحْمَرُّ منها خذٌ حبيبه حتى يُشْبِه الوردَة، فهو إذن الزارع لهذا الورد، فلماذا لا يقتطف منه؟!

كَلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرْقِي غَادَرْتَنِي مَقْلَتَاهِ دَنِفَا^{١٠٨}
 تَرَكْتُ الْحَاضِظَ مِنْ رَمَقِي^{١٠٩} أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا^{١١٠}
 وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا
 فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نَطْقُهُ كَالْخَرَسِ
 لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حَكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلُّ النَّفْسِ

* * *

أَضْرَمَ الدَّمَاعَ بِأَحْشَائِي ضِرَامَ تَتَلَطَّيَ كُلَّ حِينٍ مَا تَشَا
 هِيَ فِي خَدْيِهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ ضَرْءٌ وَحَرِيقٌ فِي الْحِشَا
 أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حَكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَزَدًا^{١١١} وَأَهْوَاهُ رَشَا
 قُلْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعَلِّمًا وَهُوَ مِنَ الْحَاضِظِ فِي حَرَسِ:
 أَيُّهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمًا! اجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْخُمُسِ!^{١١٢}

توشيح

وقد عَارَضَهُ فِيهَا الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ، فَقَالَ:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ
 لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلُمًا فِي الْكَرَى، أَوْ خَلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ

* * *

إِذْ يَقُولُ الدَّهْرُ أَسْبَابَ الْمَنَى تَنْقُلُ الْخَطْوَةَ عَلَى مَا تَرْسُمُ

^{١٠٨} بكسر النون وفتحها، يعني مريضاً.

^{١٠٩} الرمق: بقية الرُّوح.

^{١١٠} جمع صفاة: وهي الصخرة الملساء.

^{١١١} صفة تُقال للأسد، ذي اللون الذي بين الكُمَيْتِ والأَشْقَرِ، وتُقال كذلك للفرس.

^{١١٢} يُريد أن يجعل قلبه غنيمة حرب بين قلبه وعيون حبيبه، فيجمل أن يكون الوصل مكان الزكاة الواردة في آية الغنيمة.

زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى، وَتُنَى
والحيا قد جَلَّلَ الرُّوضَ سَنَا
وَرَوَى النِّعْمَانُ عَنْ مَاءِ السَّما
فَكَساهُ الحَسَنُ ثَوْبًا مَعْلَمًا
مِثْلَ ما يَدْعُو الوُفُودَ المَوْسِمُ
فَسَنَا الأَزْهَارِ فِيهِ تَبَسُّمُ
كَيْفَ يَرُوي مالِكُ عَنْ أَنَسٍ؟
يَزْدهي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبِسِ

* * *

فِي لِيالٍ كَتَمْتُ سِرَّ الهوى
مالَ نَجْمِ الكَأْسِ فِيها وهوى
وَطَرٌ ما فِيهِ مِنْ عَيْبِ سَوى
حِينَ لَدَّ النُّومِ مِنَّا أَوْ كَما
غَارَتْ الشَّهَبُ بَناءُ، أَوْ رَبا
أَيُّ شَيْءٍ لَما رِيَّ قَدْ خَلَصا
تَنَهبَ الأَزْهَارُ فِيهِ الفُرْصا
فَإِذا المَاءُ تَناجى، وَالْحصى
تُبْصِرُ الوَرْدَ غَيُورًا بَعْدَما
وَتَرى الأَسَّ لَبِيبًا فَهَمًّا
بِالدُّجى، لَولا شَمُوسُ القَدْرِ
مَسْتَقَمَ السَّيْرِ سَعَدَ الأَسْرِ
أَنَّهُ مَرٌّ كَلَمَحَ البَصْرِ
هَجَمَ الصَّبْحُ نَجُومَ الحَرَسِ
أَثَرْتُ فِينا عَيونَ النَّرْجِسِ
فَيَكُونُ الرُّوضُ قَدْ كُنَّ فِيهِ
أَمْنَتُ مِنْ مَكْرِهِ ما تَتَّقِيهِ
وَخَلا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ
يَكْتَسِي مِنْ غَيْظِهِ ما يَكْتَسِي
يَسْرِقُ الدَّمْعَ بِأَدْنى فَرَسِ

* * *

يا أَهْيَلِ الحَيِّ مِنْ وادِي الغَضَا
ضاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الفِضا
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا
حَبَسَ القَلْبُ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
وَبِقَلْبِي مَسْكَنُ أَنْتُمْ بِهِ
لا أُبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
تُنَقِّذُوا عَائِذَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ
يَتَلَّشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ
أَفْتَرِضُونَ خَرابَ الحَبْسِ؟!

* * *

وَبِقَلْبِي فَيَكْمُو مُقْتَرِبُ
قَمَرٍ أَطْلَعَ مِنْهُ المَغْرِبُ
قَدْ تَساوى مُحَسَّنٌ وَمُذْنِبُ
ساحِرُ المُقْلَةِ، مَعْسُولُ اللَّمَى
بِأَحاديثِ المُنَى، وَهُوَ بَعِيدُ
شَقْوَةِ المُغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ
فِي هَواهِ بَيْنَ وَعْدٍ، وَوَعِيدُ
جَالَ فِي النَفْسِ مَجالَ النَفْسِ

سَدَّ السَّهْمَ، وَسَمَّى، وَرَمَى
إِنْ يَكُنْ جَارَ، وَخَابَ الْأَمْلُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ
أَمْرُهُ مَحْتَمَلٌ، مُمْتَنَلٌ
حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مَمَّنْ ظَلَمَا

بِفَوَائِدِ نَهْبَةِ الْمُفْتَرِسِ
وَفَوَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ
لَيْسَ فِي الْحَبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا، وَقُلُوبُ
لَمْ يُرَاقَبْ فِي ضَعْفِ الْأَنْفُسِ
وَيُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي

* * *

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا
لَاعِجٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرَمَا
لَمْ تَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا الذَّمَا

عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ
قَوْلُهُ: «إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ»
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدِ
فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَبَسِ
كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْعَلَسِ

* * *

سَلَّمِي يَا نَفْسُ فِي حَكَمِ الْقَضَا
وَاتْرَكِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى
وَاصْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَى
الْكَرِيمِ الْمُنتَهَى وَالْمُنْتَمَى
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا

وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابِ
بَيْنَ عُتْبَى قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابِ
مَلْهُمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ
أَسَدِ السَّرْحِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ

(٨) حرف الشين

بين الهند والحبش!

وَشَى بِسَرِّي فِي مُوسَى وَأَعْلَنَهُ
تَهْتَزُّ فِي بُرْدِهِ رِيحَانَةٌ شَرِبَتْ
هَلْ خَالَهَ بَدْمِي، أَمْ سَيْفَ نَاطِرِهِ؟

خَذْ يُرِيكَ طَارَازَ الْحُسْنِ كَيْفَ وَشِي
مَاءَ الصَّبَا، يَا لَهُ رِيًّا وَيَا عَطَشِي!
قَدْ ضَاعَ ثَارِي بَيْنَ الْهِنْدِ وَالْحَبَشِ! ١١٣

١١٣ يعني بالهند سُيُوفَ النَّوَاطِرِ، وبالحبش: خَالَ الْخَدَّ.

أَوْدَى بِقَلْبِي مِنْ ذَا الصُّدْغِ عَقْرَبُهُ لو أَنَّ دِرْيَاقَ ذَاكَ التَّغْرِ مُنْتَعِشِي
تَرَى الْعَوَانِلَ حَوْلِي كَالْفَرَّاشِ وَقَدْ حاموا فَأَحْرَقْتُهُمْ بِالشَّوْقِ فِي فُرْشِي

(٩) حرف الضاد

ضِدَّانِ مَجْتَمِعَانِ!

طَمَحْتَ بِأَجْفَانِي فَأَنْسَيْتَهَا الْعَمْضَا وأَجْنَيْتَنِي مِنْ وَجَنَتَيْكَ هَوَى غَضًّا
أَيَقْبَلُ شَوْقِي سَلْوَةً عَنْ مُقْبَلٍ ١١٤ بِسَوْمِ خَتَامِ ١١٥ الصَّبْرِ خَاتَمُهُ فُضَا
أَمُوسَى! أَيَا بَعْضِي وَكُلِّي حَقِيقَةً وليس مَجَازًا قَوْلِي الْكَلِّ وَالْبَعْضَا
خَفَضْتَ مَكَانِي إِذْ جَزَمْتَ ١١٦ وَسَائِلِي فكيف جَمَعْتَ الْجَزَمَ عِنْدِي وَالْخَفْضَا؟ ١١٧
شَدَدْتَ بِحَبْلِ الشَّمْسِ مِنْكَ أَنَامِلِي لَحَظِّي، وَإِنَّ الْحَظَّ يَقْطَعُهَا عَضًّا

الشمس حين الشَّفَقِ

صَرَّحَ بِمَا عِنْدِي، وَلَوْ مَلَأَ الْفُضَا ما لي وَلِلتَّغْرِ يَرْضِي فَيَمَنَ أَعْرَضَا
لِي شَادِنٌ صَادَ الْأَسْوَدَ، وَخُوطَةٌ ١١٨ أَلْقَى الْكَمِيَّ ١١٩ لَهَا الذَّوَابِلَ مَعْرَضَا
غَصَنٌ مَنَابِتُهُ الْقُلُوبَ، وَكَوْكَبٌ ما نَوْءُهُ ١٢٠ إِلَّا الْمَدَامِعَ فُيْضَا
ما طَالَ لَيْلِي بَعْدَهُ! بَلْ نَاطِرِي يَأْتِي الصَّبَاحُ فَلَا يَرَاهُ أَبْيَضَا
أَبْكِي وَيَضْحَكُ رَاضِيًا بِصَبَابَتِي فَالْصَّبُّ يَجْنِي السُّخْطَ مِنْ ذَاكَ الرِّضَا

١١٤ ثغر.

١١٥ ضاحك.

١١٦ قطعت.

١١٧ إشارة إلى ما في علم النحو من أَنَّ الْجَزَمَ خَاصٌّ بِالْأَفْعَالِ، وَالْخَفْضُ خَاصٌّ بِالْأَسْمَاءِ، وَلَنْ يَجْتَمِعَا قَطُّ.

١١٨ الغصن الناعم الذي أتمَّ سنة.

١١٩ الشجاع المتستّر بالدُّرْع.

١٢٠ سقوط نجم في المغرب، وظُلُوع رَقِيْبِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْسُبُ الْأَمْطَارَ وَالرِّيحَ، وَالْبَرْدَ وَالْحَرَّ

إِلَى الطَّالِعِ مِنْهَا.

لا تُلْقِ أَنْفَاسِي بِتَغْرِكَ، إِنَّهُ
طَارَ الْكَرَى، لَكِنْ وَجَدِي قَصٌّ فِي
أَصْبُو إِلَى قِصَصِ الْكَلِيمِ^{١٢١} وَقَوْمِهِ
أَشْكُو إِلَى الْحَدَقِ الْمَرَاضِ وَضَلَّةُ^{١٢٢}
بَلَوَى عَلَى الْقَلْبِ الْمُعَذَّبِ جَرَّهَا
بَرَدٌ أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ جَمْرِ الْغَضَا
وَكُرِّ الضُّلُوعِ فَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَنْهَضَا
قَصْدًا لِذِكْرِكَ عِنْدَهَا وَتَعَرُّضَا
أَنْ يَشْتَكِيَ هَدَفٌ إِلَى سَهْمِ مَضَى
لَحْظِي الظَّلُومُ، وَلَحْظُ مُوسَى، وَالْقَضَا!

(١٠) حرف العين

مدحة نبوية

تُنَازِعُنِي الْأَمَالُ كَهَلًا وَيَافِعًا^{١٢٣}
وَمَا اعْتَنَقَ الْعَلِيَا سِوَى مُفْرَدِ غَدٍ
رَأَى عَزَمَاتِ الْحَقِّ قَدْ نَزَعَتْ بِهِ

* * *

وَرَكِبَ دَعْتَهُمْ نَحْوَ «يَثْرَبَ»^{١٢٤} نِيَّةً
يُسَابِقُ وَخَذُ الْعِيسِ^{١٢٥} مَا اسْوَدَّ مِنْهُمْ
سَقَى دَمْعُهُمْ غَرَسَ الْأَسَى فِي ثَرَى الْجَوَى
فَذَاقُوا لِبَانَ الصُّدُقِ مَحْضًا لِعِزِّهِمْ
تَلَاقَى عَلَى وَاْدِي الْيَقِينِ قُلُوبُهُمْ
قُلُوبٌ عَرَفْنَ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَانْطَوَتْ

فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعًا
فَيَفْنُونَ بِالشَّوْقِ الْمَدَى وَالْمَدَامِعَا
فَأَنْبَتَ أَزْهَارَ الشَّجُونِ الْفَوَاقِعَا^{١٢٦}
وَحَرَّمَ تَفْرِيطِي عَلَى الْمَرَاضِعَا
خَوَافِقَ يَذْكُرْنَ الْقَطَا وَالْمَشَارِعَا
عَلَيْهَا جُنُوبٌ مَا أَلْفَنَ الْمَضَاجِعَا

^{١٢١} يعني نبي الله موسى، عليه السلام، ومحبوبه سَمِيَّ هذا النبي الكريم الذي سَمِيَّ كَلِيمًا لِأَنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

^{١٢٢} غير رشاد.

^{١٢٣} اليافع: الطفل الناشئ، والكَهْلُ الرجل الذي جَاوَزَ الثَّلاثِينَ وَخَطَّه الشَّيْبُ.

^{١٢٤} مدينة النبي ﷺ.

^{١٢٥} العيس: الجمال، والوخد إسراعها في المشي.

^{١٢٦} ذات اللون الأصفر، وهي صفة لأزهار.

إِذَا مَا انْتَنَوْا أَوْ رَجَّعُوا الذُّكْرَ خِلْتَهُم
تُضِيءُ مِنَ التَّقْوَى خَبَايَا صَدُورِهِمْ
تَكَادُ مَنَاجَاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
تَخَالُهُمُ النَّبْتَ الْهَشِيمَ تَغْيِيرًا
غُصُونًا لِدَانًا، أَوْ حَمَامًا سَوَاجِعَا
وَقَدْ لَبَسُوا اللَّيْلَ الْبَهِيمَ مَدَارِعَا
تَنُمُ بِهَا مِسْكًَا عَلَى الشَّمِّ ذَائِعَا
وَقَدْ فَتَّقُوا رَوْضًا مِنَ الذُّكْرِ يَانِعَا

* * *

خَذُوا الْقَلْبَ يَا رَكَبَ الْحِجَازِ فَإِنِّي
وَلَا تُرْجِعُوهُ إِنْ قَفَلْتُمْ فَإِنَّمَا
مَعَ الْجَمَرَاتِ ارْزُمُوهُ يَا قَوْمِ إِنَّهُ
تَخْلَصَ أَقْوَامٌ، وَأَسْلَمَنِي الْهُوَى
هُمُو دَخَلُوا بَابَ الْقَبُولِ بِقَرَعِهِمْ
أَيْنَفَكُ عَزَمِي عَنْ قُيُودٍ ثَقِيلَةٍ؟
وَتُسَعِفُ «لَيْتُ» فِي قَضَاءِ لُبَانَتِي
إِذَا شَرَّقَ الْأَرْشَادُ خَابَتْ بِصِيرَتِي
فَلَا الزَّجْرُ يَنْهَانِي، وَإِنْ كَانَ مُرْهَبًا،
فِيَا مَنْ بَنَاءُ الْحَرْفِ خَامَرَ طَبْعَهُ!
بَلَّغْتَ نَصَابَ الْأَرْبَعِينَ فَرَزَّكَهَا
وَبَادِرُ بَوَادِي السَّمِّ إِنْ كُنْتَ رَاقِيًا
فَمَا اشْتَبَهَتْ طُرُقُ النِّجَاةِ، وَإِنَّمَا

أَرَى الْجِسْمَ فِي أَسْرِ الْعَلَائِقِ قَابِعَا
أَمَانَتُكُمْ إِلَّا تَرُدُّوهُ الْوَدَائِعَا
حِصَاةً تَلَقَّتْ مِنْ يَدِ الشَّوْقِ صَارِعَا
إِلَى عَلَقٍ سَدَّتْ عَلَيَّ الْمَطَامِعَا
وَحَسْبِي أَنْ أَبْقَى لِسَنِّي قَارِعَا!
أَيْمَحُو الْهُوَى عَنْ طِينَةِ الْقَلْبِ طَابِعَا؟
وَيَتَرَكُ «سَوْفُ» فَعَلَ عَزَمِي الْمَضَارِعَا؟
كَمَا بَعَثَتْ شَمْسُ السَّرَابِ الْمُخَادِعَا!
وَلَا النُّصْحُ يَنْثِينِي، وَإِنْ كَانَ نَاصِعَا
فَصَارَ لِتَأْثِيرِ الْعَوَامِلِ مَانِعَا
بِفَعْلٍ تُرَى فِيهِ مُنِيبًا وَرَابِعَا
وَعَاجِلُ رُقُوعِ الْفَتَقِ إِنْ كُنْتَ رَاقِعَا
رَكِبْتَ إِلَيْهَا مِنْ يَقِينِكَ طَالِعَا

اعترافات!

خَضَعْتَ، وَأَمَرَكُ الْأَمْرُ الْمُطَاعُ
وَهَلْ يَخْفَى لَدِي وَجِدٌ حَدِيثُ؟
أَشَاعُوا: أَنْبِي عَبْدٌ لِمُوسَى!
وَقَدْ سَكَتَ الْوُشَاةُ الْيَوْمَ عَنِّي
وَذَاعَ السَّرُّ، وَانْكَشَفَ الْقِنَاعُ
أَتَخْفَى النَّارُ يَحْمِلُهَا الْيَفَاعُ؟^{١٢٧}
نَعَمْ! صَدَقُوا عَلَيَّ بِمَا أَشَاعُوا
أَقَرَّ الْخَصْمُ، وَارْتَفَعَ النَّزَاعُ

^{١٢٧} ما ارتفع من الأرض.

عبدْتُ هَواكَ ما اسْتَهَوَى عَفَافِي
بَعِثْتُ وَسِيلَةً لَكَ مِنْ وَدَادِ
هَلَكْتُ بِما رَجَوْتُ بِهِ خَلاصِي
نَعَى سَهْرِي الْخِيَالَ، فَهَلْ رُقَاذُ
لَقَدْ أَرَبَى هَواكَ عَلَى فُؤَادِي
أَخَافُ عَلَيْكَ لو أَشْكُوكَ بَثِّي^{١٢٩}
وَإِنْ عَبَّرْتُ عَنْ شَوْقِي بِكُتُبٍ
كَأَنَّ الْوَدَّ وَدٌّ أَوْ سُوعُ^{١٢٨}
فَصَادَفَ وَفَدَّهَا مِنْكَ الضِّياعُ
وَقَدْ يُرِيدِي سَفِينَتَهُ الشَّرَاعُ
يُعَارُ لَوْصِلَ طَيْفُكَ أَوْ يُبَاغُ
كَمَا أَرَبْتُ عَلَى الْأَدَبِ الطَّبَاعُ
مُشَافَهَةً فَيُخَجِّلُكَ السَّمَاعُ
تَلَهَّبَ فِي أَنْامِلِي الْيَزَاعُ!

معجزات الجمال

أَمُوسَى! لَقَدْ أوردتني شرًّا مورد
سحرت فؤادي حين أرسلت حية الـ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي
ووالله، ما يَلْتَذُّ سَمْعِي وَناظِرِي
جعلت عليَّ الصبرَ ضربةً لِأَرْبِ
وما أَسْفِي أُنِّي أَمُوتَ، وَإِنَّمَا
وما أنا فرعون^{١٣٠} كفور الصنائع
عَذَارُ، وَقَدْ أَغْرَقْتَنِي فِي مَدَامِعِي^{١٣١}
بِكُفْيِكَ، وَالْأَيَّامُ ذاتُ بَدَائِعِ
بَغِيرِكَ إِنْسَانًا، وَمَا ذَاكَ نَافِعِي
وَحَرَّمْتَ أَنْ آتِي إِلَيْكَ بِشَافِعِ
حَذَارِي أَنْ تُرْمَى بِلُؤْمِ الطَّبَائِعِ

^{١٢٨} وَدٌّ — بفتح الواو وضمة هاء: اسم صنم كان يُعبد، وكذلك «سوع»، وقد جاء ذكرهما في القرآن الكريم في سورة «نوح» عليه السلام.

^{١٢٩} حَالِي أَوْ حَزَنِي.

^{١٣٠} أحد ملوك مصر، وقد بعث الله إليه موسى بالمعجزات المرهصات، فتولَّى، وقال: أنا ربكم الأعلى، فسلب الله عليه وعلى قومه الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضَّفادِعَ والدَّمَ، فكان يَسْتَجِيرُ بِمُوسَى، فيدعو الله له فيرفع عنه العذاب، فلا يلبثُ أن يعود لِكُفْرِهِ.

^{١٣١} لَمَّا كَانَ مَعْشُوقُهُ سَمِيَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَشارَ إِلَى المعجزات التي آتَى بها هذا النبي الكريم، ومنها أَنَّهُ أَبْطَلَ السَّحَرَ بِسِحْرِهِ، وَكانَ يَرْمِي عِصاهُ فَتَصِيرُ حَيَّةً تَسْعَى، وَانْفَلَقَ لَهُ الْبَحْرُ فَنجَا وَغَرِقَ أَعْدَاؤُهُ.

(١١) حرف الفاء

قلب العاشق

أَسْعِدِ الْوَجَدَ بدمعٍ وَكَفَا^{١٣٢}
لَسْتُ فِي دمعِي غَرِيقًا، إِنَّمَا
جَادَ غَيْثُ الدَّمْعِ مِنْ بَعْدِكَ فِي
زِكْرِكَ الْأَعْطَرُ يُبْكِينِي دَمًا
لَسْتُ مَشْغُوفًا بِمُوسَى! إِنَّهُ
كَنتُ أَشْكَو فِي الْهُوَى، وَالْيَوْمَ قَدْ
لَا تَقِلُّ لِلدَّمْعِ: حُسْبِي وَكَفَى!
جَسَدِي خَفَّ ضَنْئِي حَتَّى طَفَا
مَقْلَتِي رَسْمَ الْكَرَى حَتَّى عَفَا^{١٣٣}
رُبَّ مَسْكٍ بِشِذَاهُ رُغْفَا
لَيْسَ لِي قَلْبٌ فَأَشْكَو الشَّغْفَا
تَبْتُ يَعْفُو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَا!

المهجور المودع

وَدَاعُ قَلْبِي أَزْفَا^{١٣٤}
جَاءَ بِقَلْبِ سَالِمٍ
هَلْ يَجِدُ الْإِنْسَانُ مِنْ
يَا نَظْرَةً مَا غَرَسَتْ
السَّحَرُ كَمْ جَالٍ، وَفِي
أَشَدَّ مَا كَلَّفَنِي
فَلَا شِفَانِي اللَّهُ إِنَّ
أَذْعَنْتُ^{١٣٦} إِذْ جَارْتُ، وَلَا
ذُلُّ الْهُوَى، وَعِزَّةُ الْـ
وَعَاشِقٌ عَلَى شَفَا^{١٣٥}
فَسَلَهُ كَيْفَ انْصَرَفَا
نَفْسٍ تَوَلَّتْ خَلْفَا؟
حَتَّى جَنَيْتُ الشَّغْفَا
أَلْحَاطِ مُوسَى وَقَفَا
حَبِي لِمُوسَى الْكَلْفَا
دَعَوْتُ مِنْهُ بِالشَّفَا
يَحْمِلُ حُكْمَ الضُّعْفَا
حَسَنَ حَدِيثٍ عُرِفَا

^{١٣٢} سَالَ وَقَطَرَ.

^{١٣٣} الْكَرَى: النُّومُ، وَعَفَا: بَادَ وَذَهَبَ.

^{١٣٤} حَانَ.

^{١٣٥} لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ.

^{١٣٦} خَضَعْتُ.

ما بَثَّ إِلَّا عَاشِقُ
ولستُ وهو هاجري
أولَ صَبٍّ مات، أو
يا مَنْ حلفتَ أَنْ تَزُو
تَبْخُلُ أَنْ تُحْيِي بَالِ
أخاف من جورك أن
حان الفراقُ فابْكَيْنِ
لا أظلم البين، أقو
ما كنتُ موصولاً فأش
كان هواك طمعاً،
يا مرحباً بالوَجْدِ فيهِ

للرُّثْمِ،^{١٣٧} يَبْغِي النَّصْفَا
والرسم مَنِّي قد عفا
أولَ معشوقٍ جفا
رَنِي فَبَرَّ الحَلِفا
لفظ محبباً تَلِفا!
تُدْعَى! المَلِيح المُسْرِفا
لكنْ بدمع وِكَفا
لُ: شَتَّتَ المُوْتَلِفا
كو عهدٍ وصلِ سَلْفا
واليوم أمسى أسفا!
لك، وعلى الصبر العفا!

علة السهر

أَمَا لَكَ فِي أَمْرِي إِلَى الْعَدْلِ مَصْرِفًا
يقول: أتشكو الميلَ مني، ونُفَرْتِي
تحنُّ إلى الخيريِّ نَفْسِي، وَيَغْتَدِي
وما أسهرُ الظُّلَمَاءِ إِلَّا لَعْلَهُ
كأنَّ خيالي ليس يُظْهِرَ غَيْرَهُ
يُمَثِّلُ لي في كُلِّ شَيْءٍ رَأْيَتُهُ
ولولا حيائي، واتَّقَاءَ محلِّهِ
تَأَوَّلْتُ فِيهِ الذَّلَّ قَلْتُ: تَوَاضَعُ!
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ بَاخِرٍ سَبَّحَ^{١٤٠}

حكمتَ فما أعطيتَ عدلاً ولا صَرَفًا^{١٣٨}
وبُعْدِي؟ أَلَسْتُ البَدْرَ، والغُصْنَ، والخشفا
نسبي في تصحيفه يَمَلَأُ الصَّحفا
يُنَشِّقُنِي الخيريِّ^{١٣٩} من نَشْرِهِ عَرُفا
ولا منصفِي يَذْري خِلافَ اسمِهِ حَرْفا
وإن سألوا جَاوَبْتُهُمْ بِاسْمِهِ عُرُفا
لَقَبَلْتُ نَعْلَيْهِ برغم العدا ألفا
وحسنتُ تَرَكَ الصَّوْنَ سَمِيَّتُهُ ظَرْفا
ومَنْ هو في التَّنْزِيلِ قَبْلَ الَّذِي وَفَى^{١٤١}

^{١٣٧} الظبي الأبيض النقي البياض.

^{١٣٨} التوبة أو الحيلة.

^{١٣٩} اسم كان يُعرف به عشيقه.

^{١٤٠} يعني سورة «الأعلى» وأخرها: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

^{١٤١} التَّنْزِيلُ أي القرآن الكريم، وقيل الذي وَفَى يعني قول الله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى﴾.

دُرَرٌ وَصَدَفٌ

سَأَلْتُهَا عَلَّةً مِنْ صِرْفٍ رِيْقَتِهَا تَطْفِي بِهَا حَرَ مَصْدُوعِ الْحَشَا دَنَفِ
فَاسْتَضَحَّكْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: ثَغْرُ ذِي فَلَجٍ فِي ثَغْرِ ذِي شَنْبٍ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَفِ ١٤٢
وَمَا دَرْتُ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَا عَجَبٌ أَنْ يُوجَدَ الدُّرُّ مَقْرُونًا مَعَ الصَّدَفِ

الأعداء في النحو

إِذَا كَانَ نَصْرُ اللَّهِ وَقَفًّا عَلَيْكُمْو فَإِنَّ الْعِدَا التَّنَوِينِ يَحْذِفُهُ الْوَقْفُ! ١٤٣

(١٢) حرف القاف

وقت الأصيل

انْظُرْ إِلَى لَوْنِ الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ لَا شَكَّ لَوْنُ مَوَدِّعٍ لِفِرَاقِ
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ نَحْوَهُ مُصْفَرَّةً قَدْ حَمَشَتْ ١٤٤ خَذًا مِنَ الْإِشْفَاقِ
لَاقَتْ بِحُمُرَتِهَا الْخَلِيَجَ فَأَلْفَا خَجَلَ الصَّبَا، وَمَدَامِعَ الْعُشَاقِ
سَقَطَتْ أَوَانَ غُرُوبِهَا مَحْمَرَّةً كَالكَاسِ خَرَّتْ مِنْ أَنْامِلِ سَاقِ

فلسفة الخال

شَادَنُ لَوْ جَرَى مَعَ الْـ شَمْسٌ فِي حَلْبَةِ ١٤٥ سَبَقِ
عَانَقَ الْغَصْنَ فَاحْتَذَى لَيْنَ عِطْفِيهِ وَاسْتَرْقَى
نَشَقَ الزَّهْرَ فَاسْتَفَا دَ بِأَنْفَاسِهِ عَبَقِ
وَجَرَى بِاسْمِ النِّسِيِ مَ عَلَى خَدِّهِ فَرَقِ

١٤٢ الشنب دقة الأسنان وتراضها، والفلاج كبرها مع فوارق بينها، والكلف شيء يصيب الوجه كالسمسم.

١٤٣ التنوين نون ساكنة تلتحق آخر الاسم، وتُفَارِقُهُ حين الوقف.

١٤٤ أحدثت به خدوشًا.

١٤٥ الحلبة: خيل تجمع من كل ناحية للسباق.

قلِّ لمُوسَى: زَعَزَعَتْ قَلْبَ
يا جَحِيمًا عَلَى الْقُلُوبِ
ما أَرَى الْخَالَ فَوْقَ خَدِّ
إِنَّمَا كَانَ كَوَكْبًا
سَبِي الْكَلِيمَ فَاَنْفَلَقُ
ب، وِيا جَنَّةَ الْحَدَقِ
يُكَ لَيْلًا عَلَى فَلَقِ
قَابَلَ الشَّمْسَ فَاحْتَرَقَ!

الكاس

سَلِ الْكَاسَ تَزْهَوِ بَيْنَ صَبْغٍ وَإِشْرَاقٍ
كَنْوَسَ تُحَيِّيهَا النِّفُوسَ كَأَنَّهَا
إِذَا قَتَلُوهَا بِالْمِزَاجِ لِيَشْرَبُوا
تَثُورَ كَأَنَّ الْمَاءَ يَلْسَعُ صِرْفَهَا
بِمُوسَى إِذَا مَا شَتَّتْ سُكْرِي عَنْ لِي
وَإِنْ شَتَّتْ إِعْجَازًا ضَرَبْتَ بِذِكْرِهِ
تَصَاعَدَ أَنْفَاسِي تُشَابِهُهُ الصَّبَا
إِذَا أَنَا حَمَلْتُ الْبَلِيلَ صَبَابَتِي
وَتَعْرِفَ مِنِّي الرِّيحُ زَفْرَةَ عَاشِقٍ

أَدُوبَ فِيهَا الْوَرْدُ أَمْ وَجَنَةُ السَّاقِي
حَدِيثَ تَلَاقٍ فِي مَسَامِعِ عُشَّاقٍ
أَعَاشُوا مِنْهُمْ بَيْنَ مَوْتٍ وَإِخْلَاقٍ
فَصَوْتُ الْمَغْنِيِّ مِثْلَ هَيْئَةِ الرَّاقِي
وَأُدْهِقُ كَنْوَسَ الْخَمْرِ أَيْةَ إِذْهَاقٍ
فَوَادِي فَفَجَّرَتِ الْعَيُونَ بِأَمَاقِي!
وَتَقْدَحُ فِي الْأَحْشَاءِ نِيرَانِ أَشْوَاقِي
غَدَتِ كَسَمُومِ الْفَتَكِ لَفْحَةً إِحْرَاقٍ!
وَيَفْهَمُ مِنِّي الْبَرْقُ نَظْرَةَ مُشْتَاقٍ

شقاء الحب

سَلِ النُّومَ يَا مُوسَى، وَهَنَّتْ طَيْبَهُ
وَطَالَ اتِّقَائِي أَنْ أَصَابَ بِفِتْنَةٍ!
نَظَرْتُ بِتِلْكَ الْعَيْنِ نَظْرَةَ قَاتِلٍ
أَيَّا مُعْرِضًا أَعْلَقْتُ مِنْ حَبْلِهِ يَدًا
أَبْرَرْتُ عِنْدَ النَّفْسِ بِإِطْلَ عُذْرِهِ
أَعَرَيْتَنِي مِنْ ثَوْبٍ وَضَلِكَ بَعْدَمَا
وِيا سَلُوتِي! لَا أَعْرِفُ الْغَدْرَ، إِنَّنِي
وِيا صَاحٍ! إِنْ لَمْ تَدْرِ أَنَّ شَقَاوَةَ

مَتَى عَهْدُهُ مِنْ عَيْنِ مَهْجُورِكَ الشَّقِي؟
لَقَدْ جَلَبَتُ عَيْنَاكَ مَا كُنْتُ أَتَّقِي
فَهَلْ بَعْدَهَا — إِنْ مِتُّ — نَظْرَةُ مُشْفِقٍ؟
بِمِثْلِ شُعَاعِ الْبَارِقِ الْمَتَّالِقِ!
وَأَقْنَعُ مِنْهُ بِالْوِدَادِ الْمُلَفَّقِ
كَسَوْتُ الضَّنَى عِطْفِي، وَالشَّيْبَ مَفْرِقِي؟
أَخَذْتُ مَعَ الْأَشْجَانِ أَكْرَمَ مَوْثِقٍ
تَلَذُّ، وَهَوْنًا يُشَبِّهُ الْعِزَّ فَاعْشِقِ

(١٣) حرف الكاف

ظباء المسك

وَأَصْبَحَ طُورُ الصَّبْرِ مِنْ هَجْرِهِ دَكًّا^{١٤٦}
أَبْعَدَ الْهُدَى أَرْضَى الْجُودِ، أَوْ الشُّرْكَاءِ؟
فَنظَّمْتُ مِنْ شِعْرِي وَمِنْ أَدْمُعِي سِلْكَاً
فَنَمَّ بِأَشْوَاقِي نُسَيْمُهَا الْأَذْكَى
عَهْدْتُ ظَبَاءَ الْمَسْكَ لَا تَخْزَنُ الْمَسْكَ

صَعِقْتُ وَقَدْ نَادَيْتُ مُوسَى بِخَاطِرِي
وَقَالُوا: اسْلُ عَنْهُ، أَوْ تَبَدَّلْ بِهِ هَوَى!
أَلِفْتُ — عَدَاكَ الْهَجْرَ — أَنْ أَعْشَقَ الْحَلَى
جَرَى الْخَالِ فِي كَافُورِ خَذَكِ مِسْكَ
فَجُدْ لِي بِمِسْكِ الْخَالِ يَا ظَبْيُ إِنِّي

(١٤) حرف اللام

أمل لصَبٍّ

حَظِّي مِنَ الْحَبِّ أَنِّي بَعْضُ مَنْ قُتِلَا!
السَّيْفُ مِنْ لَحْظِ مُوسَى يَسْبِقُ الْعَدْلَا
فَنَصَّ لِي لِحْظُهُ الْأَمْرَاضَ وَالْعِلَلَا
«عَسَى وَلَيْتَ» وَشِعْرِي كُلُّهُ غَزَلَا!
أَجْرًا عَلَى الطَّيْفِ فِي تَكْلِيفِهِ الْقَبْلَا
لَوْ كَانَ يُنْضَحُ مِنْ مَاءِ اللَّمَى لَصَلَا
أَفْنَى الْقَوَافِي، وَأَفْنَى الدَّمْعِ، وَالْحِيَلَا

حَدِيثُ عُنُقَاءِ صَبٍّ أَدْرَكَ الْأَمْلَا
أَمَا لَقَدْ نَصَحَ الْعُدَّالَ، لَوْ قَبِلُوا!
طَلَبْتُ حِيلَةً بُرِّءَ مِنْ مَحَبَّتِهِ
يَا مَنْ غَدَا كُلُّ لَفْظِي فِيهِ — مِنْ طَمَعِ —
مَنْعَتَنِي يَقْظَةً رَدَّ السَّلَامِ — فَلَمْ
كَسَا خَضَابُ أَصْفَرَارِ اللَّضْنَى جَسَدِي
شَوْقِي إِلَيْكَ، وَلَا حُمِلَتْ شَوْقِي، قَدْ

الساري الجميل

بِأَعَزِّ أَهْدَى قَرْبِهِ الْأَمَلَا
فَاسْتَحْسَنَ الظُّلْمَاءَ فِيهِ خَالَا
جَيْشًا، وَلَا زَهَرَ النُّجُومِ نِصَالَا
سَيْرًا، لَقَدْ قُلْنَا سَرَيْتَ خِيَالَا!

عِنْدِي لَهُ غَرَاءُ أَهْدَاها السُّرَى
سَفَرْتُ لَهُ بِكَرِّ الْخُطُوبِ بَوَاجِهَا
جَرَدْتُ عِزْمَكَ، لَمْ تَهَبْ جُنْحَ الدُّجَى
فَلَوْ أَنَّ بَدَرَ التَّمِّ كَمَلَهُ الدُّجَى

^{١٤٦} يريد هنا أيضًا الإشارة إلى معجزات موسى، عليه السلام: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾، الطور هو الجبل.

تسامح العشاق

على إحاظِ الرُّثْمِ مِنْ قَاتِلِي
برشفةٍ من رِيْقِكَ السَّلْسَلِ!
يُشَابُ بالواشين والعُدْلِ
كأنَّها قُبْسَةٌ مُسْتَعْجِلِ
والعارَ أن يترك قلبَ الخَلِي
أحسنَ من عصِرِ الصُّبَا الْمُقْبِلِ
والناسَ من ماء، ومن صلصل^{١٤٧}
حرب شجٍ عن صبرِهِ أعزَلِ
يأوى إلى عقلٍ، ولا مَعْقِلِ
قولاً ومهما قال لم يفعلِ
يُدْخِلُ «لا» في كلِّ مستَقْبَلِ
أسلطُ النارَ على المِنْدَلِ
واستَحْيِ من منظرِكَ الأَجْمَلِ
معتدلاً القامةَ لم يَعْدِلِ
من المني والذُّكْرَ في مَحْفَلِ
شقيقُكَ البدرُ ولم تَرِثَ لِي

لا تطلبوا ثأري، فلا حقَّ لي
سمحتُ في سفكِ دمي راضياً
وصالُ موسى لحظةً، صفوها
قصيرةً تَضُرِمُ نارَ الهوى
لحظٌ يَرَى القَتْلَ مني نفسه
غَضُ الصُّبَا يُسْفِرُ عن منظرِ
صورٍ من نُورٍ، ومن فِتْنَةٍ،
شاكي سلاحِ القَدِّ، واللَّحْظِ في
منسلِبِ الحيلة والصبر لا
نو ضِنَّةٍ^{١٤٨} يمنع بذلَ المني
ينفي لِي الحالَ ولكنَّه
أحلتُ أشواقي على ذكره
يا شَرَكَ الألباب! كن مجملًا
أخشى عليك العارَ من قولهم
أبيت فردًا منك لكنني
وقد رثي من سهري في الدجى

صولة الجمال

فجَادَ بدمعِهِ أَمْلٌ بخيلُ
فأذْبَرَ حينَ أَقْبَلَتِ القَبُولُ
ضَحَى، فليذاك قِيلَ لها: البَلِيلُ
يُحَرِّمُ لَثْمَهُ ماضٍ صِيقِلُ

عليُّ شاقِهَ نَفَسٌ عليُّ
أَعَدَّ الصبرَ للأشواقِ جيشًا
وأبكاني فبَلَّ الرِّيحَ دمعِي
وكم بالخيف من خدِّ صِيقِلِ

^{١٤٧} طين حر مخلوط بالماء.

^{١٤٨} بخيل.

يجيب أبيضهم فيها الصَّهيلُ
وتبتسم الثنايا والنُّصُولُ
يُزْعَزَعُ دُونَهُ لَدُنْ طَوِيلُ
تُعْلَمُ كَيْفَ تَخْتَلَسُ الْعُقُولُ
بذات الصَّوْنِ مَنْظَرُهُ الْجَمِيلُ
أحتى الحسن يَعَشَقُ أَوْ يَمِيلُ
وما تَدْرِي الْخِلَافُ مَا يَقُولُ
فأَوْقِنُ أَنَّهَا ظِلٌّ يَزُولُ
يجابِبُ عَازِلًا طَلَلٌ مُحِيلُ
متاع السقمِ من جَسَدِي قَلِيلُ
يحوُمُ عليه معنَى مُسْتَحِيلُ

ترى العُشَّاقَ بَيْنَ قَبَابِ قَوْمِ
تهزُّ بها المعاطف والعوالي
فكم أَمَلٍ طَوِيلٍ مِنْ حِمَاهِمِ
ومعشوق الشَّبابِ لَهُ جَفَوْنُ
يهاب اللَّيْثُ غِرَّتَهُ، وَيَهْفُو
بديع الحسن تَعَشَّقُهُ حِلَاهُ
أظنَّ وشاحَهُ يَهْذِي خِيَالًا
عُهودُ الحُسْنِ لَيْسَ تَدُومُ حِينًا
وشخصي في الهوى طَلَلٌ، فَأَنَّى
فليت السقمِ دام فدُمتُ، لكنْ
كَأَنَّ الْقَلْبَ وَالسَّلْوَانَ ذَهَبُ

* * *

وأنت الماء والظِّلُّ الظِّلِيلُ!
يموت غليلُ نفسٍ، أَوْ عَلِيلُ
أَتَمْنَعُنِي أَقُولُ: أَنَا الذَّلِيلُ؟!
تَبَرَّأْ مِنِّي الصَّبْرُ الْجَمِيلُ!

أَمْوَسَى، عَاشِقُ يَظْمَى، وَيَضْحَى ١٤٩
أَجِبْ دَاعِيَهُ، أَوْ نَاعِيَهُ، إِمَّا
أَنَا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ، وَلَا فَخَارُ،
إِذَا نَادَيْتُ أَنْصَارِي لِمَا بِي

بين الخوف والخجل

وَمُخْجَلِي دُونَ ذَنْبٍ لَا، وَلَا زَلَلٍ!
حتى يرى الظلمَ لي منه يدًا قَبْلِي
أَكُونُ أَوَّلَ صَبٍّ مَاتَ عَنْ أَمَلٍ
وحاجتي فيك بين اليأس والأمل؟

يَا مُرْهَبِي دُونَ سُلْطَانٍ يَصُولُ بِهِ
إِلَّا هَوًى رَدَّ حَقِّي عِنْدَ بَاطِلِهِ
إِنْ جُدْتَ لِي فَبِحَقِّي، أَوْ بَخْلَتَ فَمَا
مَتَى تَرَى مِنْكَ نَفْسِي مَا تُؤَمِّلُهُ

١٤٩ يظمي أي يعطش، ويضحى أي يبرز للشمس فتتال منه.

بين الإدلال والسؤال

فديتك! جَنَّبَ مطمَع الحَيْنَ ١٥٠ من فتَى
جلستُ من الإدلالِ جِلْسَةً عَاتِبِ
وما كانَ إِلَّا هفوةً زَيْنَ الهوى
لأعلم كيف استَهْلَكَ الهجرُ معشرًا
كليلِ سلاحِ الصبرِ، بادي المَقَاتِلِ
فأعقَبَنِي للحالِ موقِفَ سائِلِ
بها عندي الأمرُ الذي هو قاتِلِي
وكيف قضَى يَأْسِي بهذي البلابلِ! ١٥١

الجمال الذابل

كان مُحِيَّاك له بهجةٌ
أصبحت كالشمعة لَمَّا جَنَى
حتى إذا جاءك ما حي الجمال
منها الضياءُ اسودَّ فيها الذُّبالُ ١٥٢

الممدوح المفرد

لك الثناءُ فإنْ يُذَكِّرْ سواك به
يومًا، فكالرابعِ المعهودِ في البَدَلِ ١٥٣

روضة الجمال

أخذوا موثقَ العذار على الخد
إنَّما خدُّه الحُسامُ، فظُلِّمَ
طالَمَا زانتِ اللَّيالي بُدُورُ
كان في شمس خدِّه الورْدُ ضاحٍ
نطقَ الشعر حين لاحت، ولمْ لا
راق خَلْقًا وفاقَ خَلْقًا فقلنا
اتَّهامًا منهم لعهدِ الجَمالِ
حمْلُهُ للنَّجادِ ١٥٤ في كلِّ حالٍ
منه ما زانتِ البدور الليالي
فهو الآن قد أوى لِظِلَالِ
تسجُع الطير في ربيع الجمالِ!
أنجم الأفق أم نجوم المعالي؟

١٥٠ المنية.

١٥١ جمع بُلْبَال — بفتح الباء — وهو الهم ووسواس الصدر.

١٥٢ الفتيلة.

١٥٣ يعني: بدل الغلط.

١٥٤ حمائل السيف.

(١٥) حرف الميم

رسالة الرياح

أثَارَ اللَّيْثُ أَلْحَاضًا نِيَامًا
أَرَى الْخَيْرِيَّ يَمْنَعُنِي جَنَاهُ
أَشِيمُ^{١٥٥} الْبَرْقَ يَوْمُضٍ مِنْ نَدَاهِ
وَلَسْتُ بِمَشْتَكٍ مِنْهُ مَطَالًا
وَأَحْسَبُ كُلَّ ذِي نَظَرٍ رَقِيبًا،
أَبْتُ مَعَ الْبَلِيلِ إِلَيْهِ شَوْقِي
أَخَافُ الرِّيحَ إِنْ نَاجَتْهُ عَنِّي
أَلَا يَا جَنَّةَ كَانَتْ عَذَابِي،
لِنَفْسٍ قَدْ حَلَّتْ عُرَى عَزَاهَا
لَنْ وَاصَلْتَ يَا مُوسَى مَحَبًّا

تَرَى فِي قَتْلَتِي الثَّأَرَ الْمُقِيمَا
فَهَلْ أَلْقَاهُ رِيحًا أَوْ شَمِيمَا؟
وَأَشْمَمُ مِنْ نَوَاجِيهِ النَّسِيمَا
فَمَنْ لِي أَنْ أَكُونَ لَهُ غَرِيمَا؟
وَأَزْعُمُ كُلَّ ذِي نَطْقٍ خَصِيمَا
فَتَبْلُغُهُ وَقَدْ عَادَتْ سَمُومَا
تُعِيدُ أَقَاحَ مَبْسِمِهِ هَشِيمَا
وَسَلْسَالًا سَقِيئَتْ بِهِ الْحَمِيمَا
وَعَيْنٌ قَدْ عَبَدَتْ بِهَا النُّجُومَا
لَقَدْ أَحْيَيْتَ يَا عِيسَى رَمِيمَا^{١٥٦}

الطبيعة والجمال والغرام

حُثَّ الْكُؤُوسَ وَلَا تُطْعَ مَنْ لَامَا
رَقَّ الْغَمَامُ لِمَا بِهَا إِذْ أَمَحَلَتْ،
وَالْبَرْقُ سَيْفٌ وَالسَّحَابُ كِتَابٌ
وَالدَّوْحُ مِيَادُ الْغُصُونِ كَأَنَّمَا
وَالزَّهْرُ يَزْنُو عَنْ نَوَاطِرِ سَدَدَتْ
تَهْنِ الْكَوَاكِبَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَسْتَطِعْ
تَثْنِي عَلَى كَرَمِ الْوَلِيِّ بِنَفْحَةٍ
يَهْدِي الصَّبَا لِلصَّبِّ مِنْهَا مِثْلَ مَا
فَكَأَنَّهَا عَرَقُ الْحَبِيبِ تَضَوُّعًا،

فَالْمُزْنَ قَدْ سَقَتِ الرِّيَاضَ رِهَامَا
فَغَدَا يُرِيْقُ لَهَا الدُّمُوعَ سَجَامَا
تُبْدِي لَوَقْعَ عَذَارِهِ إِحْجَامَا
شَرَبَ النَّبَاتُ مِنَ الْغَمَامِ مُدَامَا
لَحْظَاتُهُنَّ إِلَى الشُّجُونِ سِهَامَا
شَمَسَ النَّهَارَ لَضَوُّهَا إِبْهَامَا!
عَنْ مَسَكٍ ذَاوِيٍّ تَفْضُ خِتَامَا
يَهْدِي الْمَحَبُّ إِلَى الْحَبِيبِ سَلَامَا
وَكَأَنَّهَا نَفْسُ الْمَحَبِّ سَقَامَا!

^{١٥٥} أَطْلَعَ إِلَيْهِ بِبَصَرِي أَنْتَظَرُهُ.

^{١٥٦} إشارة إلى ما جاء به كلمة الله عيسى، عليه السلام، من معجزة إحياء الميت.

زفرة

بُنِيَتْ بِنَاءَ الْحَرْفِ خَامِرُ طَبْعِهِ فَصَرْتُ لِتَأْثِيرِ الْعَوَامِلِ جَازِمًا

نفس عصام

سَأَلْتُ نَفْسِي عَنْكَ ذَنْبَ غَرَامِي فَمَنْ بَدَمِي إِنْ حُمَّ فِيكَ جِمَامِي؟!
وَنَفْسِي دَعَتْنِي لِلشَّقَاءِ كَمَا دَعَتْ عَصَامًا إِلَى الْعُلْيَاءِ نَفْسُ عِصَامٍ^{١٥٧}

ثمن قلب

وَيَأْتِي مِنَ الْهَجْرَانِ زَلَّةٌ مُذْنِفٍ فَأَعْمَلُ فِي السَّلْوَانِ فِكْرَةَ عَازِمٍ
ذَنْوِبٌ مَلِيحُ الْوَجْهِ غَيْرُ قَبِيحَةٍ وَمِنْ عَادَةِ الْعُشَّاقِ شَحْذُ الْعِزَائِمِ
وَسَرَّحْتُ فِي مَرَاكٍ مُقْلَةً نَاطِرِي لَقَدْ طَالَ قَرْعِي بَعْدَهَا سَنٌ نَادِمٍ
سَلُّوا عَنْ مُحَبِّ بَاعِ قَلْبًا بِنَظَرَةٍ أَيْمُضِي عَلَيْهِ الْبَيْعُ ضَرْبَةً لَازِمٍ؟
وَكُنْتُ سَدِيدَ الرَّأْيِ صَعْبًا عَلَى الْهَوَى فَفِيكَ هَذَا جِلْمِي وَلَانتُ شَكَايِمِي

(١٦) حرف النون

نظيران في التحريم

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنِكَ أَنِّي عَانٍ صَرَفْتُ إِلَى أَيْدِي الْعِنَاءِ عَنَانِي
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو الْوَصْلَ نَيْلَ غَنِيمَةٍ فَحَسْبِي مِنْهُ الْيَوْمَ نَيْلُ أَمَانٍ

^{١٥٧} نفس عصام تُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ سَوَّدَهُ الْاِكْتِسَابُ. وعصامُ هذا هو الباهلي الذي يقول فيه النابغة:

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَجَعَلَتْهُ مِلْكًا هُمَامَا

ولقد كان حاجبًا للنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ.

أَطَعْتُ هَوَى طَرْفِي لِحَتْفِي لَوْ أَنَّني
وَمَنْ لِي بِجَسْمٍ أَشْتَكِي مِنْهُ بِالضُّنَى؟
وَمَا عَشْتُ حَتَّى الْآنَ إِلَّا لِأَنَّني
وَلَوْ أَنَّ عُمْرِي عُمْرَ نوحٍ وَبِعَثُّهُ
وَمَا مَاءُ ذَاكَ الثَّغْرِ عِنْدِي غَالِيًا
إِذَا الْيَأْسُ نَاجَى النَفْسَ مِنْكَ بَلَن وَلَا

* * *

خَلِيلِي عِنْدِي فِي السُّلُوكِ بِلَادَةٌ
خُذَا عَدَدًا مَنْ مَاتَ مِنْ أَوَّلِ الْهَوَى
فَلَوْ قَالَ شَخْصٌ: أَيْنَ أَعْشَقُّ عَاشِقٌ؟
فَإِنْ شَتُّتُمَا عِلْمَ الْهَوَى فَسَلَانِي
فَإِنْ كَانَ فَرْدًا فَاحْسِبَانِي ثَانِي
لَسَلَّمْتُهُ دُونَ الْأَنَامِ عَنَانِي

* * *

مَرَاضِعُ مُوسَى^{١٥٨} أَوْ وَصَالُ سَمِيئِهِ^{١٥٩}
أَقُولُ وَقَدْ طَالَ السُّهَادُ بِذِكْرِهِ
وَقَدْ خَفَقَ الْبَرْقُ الطُّرُوبُ كَأَنَّهُ
يَشْقُ جِدَادَ اللَّيْلِ مِنْهُ بِرَاحَةٍ
أَشَارَ تَجَاهِي بِالسَّلَامِ فَلَوْ دَعَا
تَرَاءَى لِعَيْنِي خُلْبًا وَانْتَجَعْتُهُ
فَبِتْ لِأَشْوَاقِي قَتِيلًا، وَإِنَّمَا
كَأَنَّ النُّجُومَ الشَّهَبَ حَوْلِي مَاتِمٌ
خَرَزْتُ لِذِكْرِهِ عَلَى التَّرَبِّ سَاجِدًا

^{١٥٨} يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ، تَعَالَى، حِكَايَةً عَنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

^{١٥٩} الْمُسَمَّى بِاسْمِهِ، وَهُوَ حَبِيبُهُ مُوسَى.

ساعة وصال

أشمس في غلالة^{١٦٠} أرجوان
وثغر ما أرى أم نَظْمُ دُرٍّ
وخذ فيه تفاح وورْد
ويعدّلني العواذِلُ فيه جهلاً
فقالوا: عبد موسى قلتُ: حقاً
فقالوا: هل عليك بذا ظهير؟^{١٦٢}
فقالوا: هل رضىت تكونُ عبداً
فقلت: نعم، أنا عبد ذليل
بنفسي مَن يُفدّيني بنفسِ
سألتك حاجة إن تقضها لي
فقلت: أشم من خديك ورداً
فقلت: أخاف صدغك أن يراني
فقال: أعاشقُ ويخاف رمياً؟
كذاك الصبّ يعذر كلّ صبّ
فكان تحكّماً لا وزر فيه
أديرا الرّاح، ويحكّما، سُلَافاً

وبدر طالع أم غصن بان؟
ولحظ ما حوى أم صارمان؟^{١٦١}
عليه من العقارب حارسان
عزيز ما يقول العاذلان
فقالوا: كيف ذا؟ قلتُ: اشتراني
فقلت: نعم، عليّ وشاهدان
لقد عرضت نفسك للهوان
لمن أهوى فخلّوني وشاني
جُعلت فداه لما أن فداني
فقال: نعم قضيتُ وحاجتان ...
فقال: وما تضمّ الوجنتان
وما أنا من لحاظك في أمان
جبنت وما عهدتُك بالجبان
تحكّم ما تشاء وفي ضمانني
أيكثّبهُ عليّ الكاتبان؟
فإن دارت عليّ فعاطيان

الساقى الجميل

رُع^{١٦٣} بجيش اللذات سرّب^{١٦٤} الشجون
لا تجيبن بالرضا أهل لوم

وخذ الكأس راية باليمين
صاح واقلب لهم مجنّ المّجون

^{١٦٠} الغلالة: شعار يُلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً، والأرجوان حجر له نور أحمر حسن جداً.

^{١٦١} سيفان.

^{١٦٢} الظهير: هو المعين، لعلّه، وقصد به هنا «الضامن».

^{١٦٣} أخفّ.

^{١٦٤} القطيع أو الجماعة.

منذُ قابِلَنْ أنْجَمَ اليَاسَمِينِ
جِسْ تَحْكِي مَرَاوِدًا فِي عُيُونِ
بُسْلَافٍ كَدَمْعَةٍ المَحْزُونِ
رَإِى جَوهرِ الحُبَابِ المَصُونِ
مُلْكُ كَسْرَى لَدَيْهِ غَيْرُ يَمِينِ
لَحْظُهُ فِي القُلُوبِ غَيْرُ أَمِينِ؟
ثِقَّةٌ مِنْهُ بِالذِي فِي الجُفُونِ
عَنْ سَمَاعِ الغِنَاءِ وَالتَّلْحِينِ
جَنَّةٌ تُنْمِرُ المُنَى كُلَّ حِينِ
سِمُّ أَنِّي حَنَنْتُ فِي ذِي اليَمِينِ
نَوْنٌ قَلْبِي بِلَوْلُؤِ مَكْنُونِ
وَهِيَ بَدَأُ الجَنُونِ أَصَلَ الجُنُونِ
وَجِبَانٌ فِي نُورِ ذَاكَ الجَبِينِ
تُ بَيْسَ حُسْنِ هَذِي السَّيْنِ
قُلُوبَ الآسَادِ قَدْ تَتَّقِينِي
حَيْثُ لَا يَجْتَنِيهِ لَيْثُ العَرِينِ
عَذْلُونِي، فَإِنْ بَدَأَ عَدْرُونِي
بِمُدَى، بَلْ قُلُوبُهُمْ بِجُفُونِ
لَيْلَةُ الوَصْلِ عَنْ صَبَاحِ المَنُونِ
وَحَذَفْنَا الرَّقِيبَ كَالْتَنُونِ

طَلَعْتُ أَنْجَمَ الكَنُوسِ سُعُودًا
وِظْلَالُ القُضْبِ اللُّطَافِ عَلَى النُّزْ
أَيْسَانِي، وَكَفِّكَفَا دَامَعَ عَيْنِي
أَلْفَا جَوهرَ الأزَاهِرِ، وَالْقَطْـ
وَانْظُمَاهَا فِي لَيْلَةِ الأُنْسِ عَقْدًا
كَيْفَ أَمَّنْتُمَا عَلَى الشَّرْبِ شَخْصًا
قَامَ يَسْقِي فَصَبَّ فِي الكَأْسِ نَزْرًا^{١٦٥}
وَأَتَى نَطْقُهُ بِلَحْنٍ فَأَغْنَى
إِنَّ نَارَ الحَيَاءِ فِي خَدِّ مُوسَى
قَسَمًا لَا أَحْبُّهُ، وَأَنَا أَقْبـ
لَوْ رَقَانِي بِرَيْقِهِ لَشَفَى مَكْـ
بَدْرُ تَمَّ لَهُ تَمَائِمُ كَانَتْ
أَنَا فِي ظِلْمَةِ العَجَاجِ^{١٦٦} شَجَاعِ
كَتَبَ الشَّعْرُ فِيهِ سَيْنًا فَعَوَّذُ
أَتَّقِي أَغْيَنَ الظُّبَاءِ، وَلَكِنْ
فَكَأَنِّي النُّوَارُ يَجْنِيهِ ظَبْيُ
كَمْ نَهَانِي عَنْ حَبِّ مُوسَى أَنَاسِ
أَكْبَرُوهُ فَلَمْ تَقْطَعْ أَكْفُ
لَيْتَنِي نَلْتُ مِنْهُ وَضَلًّا وَأَجَلْتُ
وَقَرَأْنَا بَابَ المُضَافِ عِنَاقًا

زكاة الجمال

فَهِيَ الَّتِي جَلَبَتْ إِلَيَّ مَنُونِي
يَقْتَادِنِي مِنْ نَظَرَةٍ لِفُتُونِ

بِأَبِي جَفُونٌ مُعَذِّبِي وَجُفُونِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ جَفْنِي قَبْلَهَا

^{١٦٥} يسيرًا.

^{١٦٦} الغبار والدخان.

حكمت علينا بالهوى والهوى
حتى تكلم في دموع شئوني
كاد المريب بأن يقول: خذوني
حراس مسكنها أسود عرين
فالطيف لا يسري على تأمين
منها مبرأة برجم ظنون؟
لما رأوها تنثنني من لين
ما استودعت من مبسم وجفون!
بي للفتون، وبعده عدلوني
شبوا الهوى في أضلعي هجروني
في القرب قلب منيم مفتون
ما ضرهم لو أنهم رجموني؟
من أن يطول تشوقي وحيني!
أعرتني قلباً لحمل شجوني!

يا قاتل الله العيون لأنها
ولقد كتمت الحب بين جوانحي
هيهات لا تخفى علامات الهوى
وبمهجتي ألحاط ظبية وجرة
سدوا علي الطرق خوف طريقهم
أوما كفاهم منعهم حتى رموا
وتوهّموا أن قد تعاطت قهوة^{١٦٧}
واستفهموها: من سقاك؟ وما دروا
ومن العجائب أنهم قد عرّضوا
خدعوا فؤادي بالوصال، وعندما
لو لم يريدوا قتلتي لم يطمعوا
لم يرحموني حين حان فراقهم
ومن العجائب أن تعجب عاذلي
يا عاذلي! ذرني^{١٦٨} وقلبي والهوى

* * *

كيف السبيل إلى اقتضاء ديوني
مرضى قلوب من مراض جفون
أن لو بعثت تحية تحييني!
وتصدقني منه على المسكين
ما قلّ يكثر من نوال ضنين
في غير دار الخلد حور العين
في العالمين شهادة بيمين

يا ظبية تلوى^{١٦٩} ديوني في الهوى
بيني وبينك حين تأخذ ثأرها
ما كان ضرّك يا شقيقة مهجتي
زكي جمالا أنت فيه غنية
مني علي ولو بطيف طارق
ما كنت أحسب قبل حبك أن أرى
قسما بحسبك ما بصرت بمثله

^{١٦٧} خمرا.

^{١٦٨} دعني أو اتركني.

^{١٦٩} من ألوى بحقه أي ذهب به.

التماس

يَمِينًا بَدِينِي، إِنَّهُ الْحُبُّ فَيْكَ، أَوْ
لِحَبِّكَ مِنْ قَلْبِي وَإِنْ سَلَّطَ الضَّنَى
وَيَا وَطَنَ السَّلْوَانِ، وَالْعَيْشَ غَرْبَةَ
لَقَدْ طَالَ حَرْبُ النُّومِ فَيْكَ لِنَاطِرِي
يَظُنُّ هُوَ مُوسَى بِأَنْبِي قَتِيلُهُ!
بِقِبْلَةٍ نُسْكِي، إِنَّهُ وَجْهُكَ الْحَسَنُ!
عَلَى جَسَدِي أَشْفَى مِنَ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ
أَلَا عَوْدَةٌ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَطَنِ؟
أَلَا هَدَنَةٌ مِنْهُ، وَدَعَا عَلَى دَخْنٍ؟^{١٧٠}
سَأَجْعَلُ نَفْسِي فِيهِ — وَاللَّهِ — حَيْثُ ظَنُّ

فلسفة الصبر

لَا تَرَكَنَّ مَعَ الذُّنُوبِ لِعِزَّةٍ
الصَّبْرُ عَمَّا أَشْتَهِيهِ أَخْفُ مِنْ
إِنَّ الْمُرِيبَ^{١٧١} بِذُعْرِهِ مَتَكَفَّنُ
صَبْرِي لِمَا لَا أَشْتَهِيهِ وَأَهْوَنُ^{١٧٢}

العار المزدوج

لِي صَاحِبُ تَرَكَ النِّسَاءِ تَطَرُّفًا
فَعَدَلْتُهُ يَوْمًا وَقَدْ أَبْصَرْتُهُ
فَأَجَابَنِي: إِنَّ اللَّوَاطِ إِذَا عَنَّا
مِنْهُ، وَمَالَ إِلَى هَوَى الْغِلْمَانِ
يُعْنَى بِقَوْدِ فَلَانَةٍ لِفُلَانٍ
قَدْ يَنْتَنِي قَوْدًا عَلَى النَّسْوَانِ

وصف لازورد

وَلَا زَوْرِدٍ بَاهِرٍ نُورُهُ
كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ مَرَأَةٍ قَدْ
مُسْتَظَرَفِ الْأَوْصَافِ مُسْتَحْسَنِ
ذَابَتْ عَلَيْهِ زُرْقَةُ الْأَعْيُنِ

^{١٧٠} يُقَالُ: دَخَنَتِ النَّارُ إِذَا فَسَدَتْ بِإِلْقَاءِ الْحَطَبِ عَلَيْهَا حَتَّى يَهِيَجَ دَخَانُهَا وَهُوَ هُنَا يَقُولُ لَهُ: أَفْسَدَ نَارَ الْحَرْبِ وَصَلَّنِي.

^{١٧١} الرَّجُلُ الْمُتَّهَمُ أَوْ الْمَشْكُوكُ فِيهِ.

^{١٧٢} مَا يَشْتَهِي هُوَ الْخَيْرُ، وَمَا لَا يَشْتَهِي هُوَ الشَّرُّ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ صَبْرِي عَلَى الْخَيْرِ يَتَأَخَّرُ عَنِّي أَهْوَنُ مِنْ صَبْرِي عَلَى مُصِيبَةٍ تَنْزِلُ بِي.

(١٧) حرف الهاء

دمعة عاشق

فغدا وأمثال الذَّلِيلِ نَصِيبُهُ
ممنوعُهُ، وبريئُهُ مَعْتُوبُهُ
وبحيث يَصْفُو العيشَ ثَمَّ خُطُوبُهُ^{١٧٣}
وبأضلُّعِي خَفَقَانُهُ وَلَهْيَبُهُ
رَقَّتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ، وَنَسِيبُهُ؟!
ولو أَنَّهُ عَتَبَ تَشَبُّ حُرُوبُهُ
لَيَعُودَهُ فِي العائِدِينَ مُذِيبُهُ
دمعٌ تحيَّرَ وَسَطُهَا مَسْكُوبُهُ
ساقُ السَّهَادِ أَنيْنُهُ وَنَحِيبُهُ
والسُّهْدُ فَيَكُ مَعَ الكَلَامِ رَقِيبُهُ
ومتى يُفَيِّقُ وَمَنْ ضَنَاهُ طَبِيبُهُ؟!
فشهابٌ شَوْقِي فِي المَكَانِ يُصِيبُهُ
ومحاسنُ القَمَرِ الْمُنِيرِ عُيُوبُهُ؟!
نَهَابٌ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ^{١٧٧} مُرِيبُهُ
لَدُنْ الَّذِي بَيْنَ الْبُرُودِ^{١٧٩} رَطِيبُهُ
مَرَّ النَّسِيمِ بِوَجْهِهِ وَهَبُوبُهُ
عَنِّي، وَيَذْهَبُ عِفَّتِي تَذْهِيبُهُ

صَبُّ تَحَكُّمٍ كَيْفَ شَاءَ حَبِيبُهُ
بَادِي الهوى مَهْجُورُهُ، وَحَرِيصُهُ
كَذِبُ الْمُنَى وَقَفُّ عَلَى صِدْقِ الهوى
يَا نَجْمَ حُسْنٍ فِي جُفُونِي نَوَّهْ
أَوْ مَا تَرِقُّ عَلَى رَهِينِ بِلَالٍ^{١٧٤}
وَلَكُمْ يَمِيلُ إِلَى كَلَامِكَ سَمْعُهُ
وَيُودُّ لَوْ أَنَّ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى
مَهْمَا رَنَا لَيَرَكَ حَجَبَ عَيْنِهِ
وَإِذَا تَنَاوَمَ لِلخِيَالِ يَصِيدُهُ
فَالدمعُ فَيَكُ مَعَ النِّهَارِ خَصِيمُهُ
فَمَتَى يَفُوزُ وَمَنْ عَدَاهُ بَعْضُهُ
إِنَّ طَافَ شَيْطَانُ السُّلُوفِ بِخَاطِرِي
مَنْ لِي بِهِ حَلَوُ الَّذِي عَطَلُ لَهُ^{١٧٥}
مَنْهَوْبٌ مَا تَحْتَ النُّقَابِ^{١٧٦} عَفِيفُهُ
قَاسَى الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ^{١٧٨} فَظُهُ
وَجْهٌ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ يُعِيرُنِي
خَذُّ يَفْضُ عُرَى التَّقَى تَفْضِيضُهُ

^{١٧٣} ثم: يفتح الثاء؛ أي هناك، والخطوب: المصائب.

^{١٧٤} جمع بَلْبَال، بفتح الباء، وهو الهُمُّ ووسواس الصدر.

^{١٧٥} العطل: عدم التحلي بالمجوهرات وما إليها.

^{١٧٦} الوجه.

^{١٧٧} العين.

^{١٧٨} القلب.

^{١٧٩} الجسم.

يُذْكَى الحياءُ بوجنتَيْه جمرَةً
غَفَرْتُ جرائمُ لَحْظِهِ لسقامِهِ
ما ضَرَّ موسى لو يشقُّ مدامعي
فيكأُ نَدُّ الخدِّ يَعْبِقُ طيبُهُ
فسطاً، ولم تُكْتَبْ عليه ذُنُوبُهُ
بحراً فيَغْرَقُ عاذِلِي ورَقِيبُهُ

يأس مهجور

لأُمُوا، فلمَّا لَاحَ مَوْضِعُ صَبُوتِي
شَرِقْتُ ١٨٠ بَدَمْعِي وَجَنْتِي شَوْقًا إِلَى
حَلْوِ الْكَلَامِ كَأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ
بِاللَّهِ يَا مُوسَى، وَقَدْ لَذَّ الرَّدَى،
هَارَوْتُ أَوْدَعَ فِي لِحَاظِكَ سِخْرَهُ
صَحَّحْتَ يَا سَيِّ مِنْ وَصَالِكَ مِثْلَ مَا
قالوا لَقَدْ جِئْتَ الْهَوَى مِنْ بَابِهِ
ذِي وَجْنَةٍ شَرِقَتْ بِمَاءِ شَبَابِهِ
يَشْرَبْنَ عِنْدَ النُّطْقِ شَهْدَ رُضَائِهِ
أَجْهَزُ ١٨١ وَلَا تَبْقِ الْجَرِيحَ لِمَا بِهِ
فَأَصَابَ قَلْبِي مِنْكَ مِثْلُ عَذَابِهِ
قَدْ صَحَّحَ يَا سَ الْحَرْفَ مِنْ إِعْرَابِهِ ١٨٢

العقوق المشكور

سَأَشْكُرُ مِنْكَ الْعُقُوقَ الَّذِي
وَبَشَّرَ صَدْرِي بِقَلْبِي الْمَضَارِعِ
وَلَوْ كَانَ بِرُكُّ بِي مُسْعِدًا
فَإِنْ لَمْ تَحِدْ عَنْ سُلُوبِي صَبْرْتُ
نَهَى شَغْفِي بِكَ شُكْرَ النَّصِيحَةِ
وَهَنَّا بِالنَّوْمِ عَيْنًا قَرِيحَةً
لَحَسَنَ عِنْدِي فِيكَ الْفَضِيحَةَ
بِرَغْمِي، فَرُبَّتْ وَفَاةٌ مُرِيحَةً

صفات معشوق

يُمَثِّلُ لِي نَهْجَ الصَّرَاطِ بَوَعْدِهِ
تَغْصُّ بِرُؤْيَاهِ النُّجُومُ وَرَبِّمَا
عَلَقْتُ بِبَذْرِ السَّعْدِ لَوْ نَلْتُ ذَا الَّذِي
رَشَا جَنَّةَ الْفَرْدُوسِ فِي طَيِّ بُرْدِهِ
تَمُوتُ غُصُونُ الرُّؤُوسِ غَمًّا بِقَدِّهِ
تَوَمَّلْ مِنْهُ مَهْجَتِي بَعْضَ سَعْدِهِ

١٨٠ غَصَّتْ.

١٨١ أَجْهَزَ عَلَيْهِ: أَسْرَعَ فِي قَتْلِهِ وَتَمَّمَهُ.

١٨٢ فِي عِلْمِ النَّحْوِ أَنَّ الْحَرْفَ مَبْنِيٌّ، لَنْ يُعْرَبَ.

لنا ثالثًا في ذاك ميثاقُ عهدِهِ
وأشْرَقَنِي بِالْعَذْبِ إِشْرَاقُ خَدِّهِ
وأوردني ماءَ الرَّدَى غُضٌّ وَرْدِهِ
ويَحْكِي امتدادًا زفرتي ليلُ صَدِّهِ
غدا النَّدُّ منه مُسْتَهَامًا بَنَدِّهِ
فحَنَنْتُ إلى بانِ الحجازِ ورندِهِ^{١٨٣}
بنارِ قِراءِهِ،^{١٨٤} والدموعِ بورْدِهِ
يُضِيءُ، فهَشَّتْ لِلسَّلَامِ وَرَدِّهِ
يرى أنني أذنبْتُ ذنبًا بوْدِّهِ
جوابًا، ولو كان الجوابُ برَدِّهِ!
تخفُ على موسى زيارةُ لَحْدِهِ!

حكى لحظُهُ في السقمِ جُسمِي، واغْتَدَى
وأركبَنِي طرفَ الهوى غُنْجُ طَرْفِهِ
وأغرى فؤادي بالأسَى رَوْضُ آسِهِ
يُعارضُ قلبي بالخُفوقِ وشاحِهِ
وما المسكُ خالٍ من هوى خالِهِ وإنْ
وما وَجَدُ أعرابيةً بانَ أهلُها
إذا آنَسَتْ ركبًا تكفلُ شوقُها
وإنْ أوقَدَ المصباحُ ظننَّهُ بارقًا
بأعظمَ من وَجْدِي بموسى، وإنما
أنا السائلُ المسكينُ قد جاء يبتغي
محبُّ يرى في الموتِ أمنيَّةَ عسى

الربيع

صنْغانٍ من سِيدانِهِ وَعَبِيدِهِ
أوراقُها منشورةٌ كَبْنُودِهِ^{١٨٥}

جاء الربيعُ ببيضِهِ، وبسُودِهِ
جيشُ ذوابِلِهِ الغُصُونُ، وفوقُها

نبي الجمال

خلع العذارَ فلا لَعًا^{١٨٦} لِعِثارِهِ
ما المرءُ مأخوذًا بزلَّةِ جَارِهِ
لولا ذُبَالُ شَبٍّ من أَفكارِهِ
فَتَرَاهُ مِثْلَ النَقْشِ في دِينارِهِ

نَظَرُ جَرَى قلبي على آثارِهِ
يا وَجْدُ، شَأْنُكَ والفؤادَ وُخِّلَنِي
دَنَفُ يَغِيبُ عن الطبيبِ مكانَهُ
لِلدَمْعِ خَطٌّ فوقَ صُفْرَةِ خَدِّهِ

^{١٨٣} الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية، أو هو العود، وهو هنا أوفق لنسبة جيد العود إلى الحجاز.

^{١٨٤} نار القِرَى: نارٌ كان يُشَبُّها كِرامُ العرب لِيَهْتَدِيَ بها الضيوف إلى مكان الأمن والإكرام.

^{١٨٥} جمع بند، وهو العلم الكبير.

^{١٨٦} لَعًا: كلمة تُقال للعائر يُراد منها اللُعاء له بأن يَنْتَعِش.

سببُ يَعُوقُ الطيرَ عن أوكاره
وحصادُ عمري في نبات عذاره!^{١٨٧}
يبدو يسلم عاشقُ بغيره
فإذا الأسودُ روابضُ بجواره
ما كان صانَ الحُسنِ من أسرارِه
أنسَ الرِّشا ثم انتنَى لنِفارِه
عثراتِ ساقٍ في كئوسِ عَقارِه
مسكًا خلعتُ النِّسكَ من أَعطارِه
هاروتُ. لا! هاروتُ من أنصارِه
يُهديك معجزةَ الخليل بنارِه
من ورقه، والأسُ نبتُ عذارِه
ونسيتُ ما في حُدّه وبغيرِه
والزندُ لا يشكو بحرَّ شرارِه
كم من رضى في طيِّ كُرّه الكارِه

هيهات! عاقَ عن السُّلُو فؤادَه
قالوا سيسليك العذارُ سفاهةً
إن لم أُمْتُ قبل العذارِ فعندما
مثل الفريقِ نَجًا ووافي ساحلاً
إنَّ العذارَ صحيفةٌ تتلُّو لنا
مَن لي به؟ يَرْضَى وَيَغْضَبُ مثلما
كسلانُ يَعْتَرُ في الحديثِ لسائِه
والخالُ يَعْبِقُ في صحيفة خُدّه
موسى تنبأً بالجمال، وإنما
إن قلتُ فيه: هو الكليمُ فخدّه
رَوْضُ حُرْمَتِ ثِمَارِه وقصائدي
يا مشرفياً! غرّني بغيرنِده
أنستُ بنارِ الشوقِ فيك جوانحي
أتلّفتُ قلبي فاسترحتُ من المُنَى

سواد الخال

ظبيُّ طلوعُ الفجرِ من أزرارِه
كالظبيِّ في لحظّاتِه، ونِفارِه
في آسِه، وبهارِه، وعَرارِه!^{١٨٨}
من خُدّه، والأسُ نبتُ عذارِه
كتلاعِبِ الساقِي بكأسِ عَقارِه
وجمالِه! لو كان من زوَارِه
فالنجمُ أقربُ من دنو مزارِه

مَن لي بأن يَدنو بعيدُ مزارِه
كالغُصنِ في حَرَكَاتِه وقَوامِه
في الرّوضِ منه محاسنٌ، ومَشايبُه
فعرارُه من لحظّه، وبهارُه
وعَلِقْتُهُ وَسَنانَ يلعبُ بالنُّهى
يا حُسْنَه! لو كان يَرَحِمُ صَبّه
ألفَ التجنّي، والبعادَ شريعة

^{١٨٧} الشعر النابت في صفحتي الوجه.

^{١٨٨} البهار والعرار شيء واحد وهو نبت طيب الريح يُقال له: عين البقر، ينبت أيام الربيع، وهو جعدٌ تتوسّطه بقعة صفراء.

أَوَمَى إِلَيَّ بِلَحْظِهِ فَتَنَاءَثَرْتُ
لَمَّا أَرَأَقَ دَمَ الْمَشُوقِ تَعَمُّدًا
فَالْخُدُّ يَغْرُقُ فِي مَعِينِ دُمُوعِهِ
عَجَبًا لِضِدِّ كَيْفِ يَأْلُفُ ضِدَّهُ
خِيَلَتْهُ ١٨٩ فِي الْخُدِّ مِنْ أَشْفَارِهِ
أَسْوَدَ نَقْطُ الْخَالِ مِنْ أَوْزَارِهِ
وَالْقَلْبُ يَصْلَى فِي جَحِيمِ أَوَارِهِ
هَذَا بِأَدْمُعِهِ وَذَاكَ بِنَارِهِ!

رُؤَاةُ الْجَمَالِ

وَمُعْطَلٍ وَالْحُسْنُ يَعَشَقُ جِيدَهُ
إِنْ جَاءَنِي فِيهِ الْعَزُولُ بِشُبْهَةٍ
عَاطِيَّتُهُ شَمْسًا لَهَا فِي هَذِهِ
يَثْنِي الْكَئُوسَ نَوَافِحًا بِرَوَائِحِ
فَالْمَسْكُ يَرْوِي الطَّيِّبَ عَنْ مِسْكِ الصَّبَا
فَيَبِينُ بِالْوَسْوَاسِ عَنْ وَسْوَاسِهِ
صَدَعَ الْغَرَامُ بَنَصَّهُ وَقِيَاسِهِ
شَفَقُ أَعَارَ الْوَرْدَ حُسْنَ لِبَاسِهِ
يَشْرَبْنَ مِنْ أَنْفَاسِهِ فِي كَاسِهِ
عَنْ أَكْوَاسِ الْجِرْيَالِ ١٩٠ عَنْ أَنْفَاسِهِ

ثَمَنُ الدُمُوعِ

دَنَفٌ قَضَى عَزَّ الْجَمَالَ بِهِوْنِهِ
وَأَغْرُ تَتْلُو الْفَجَرَ غُرَّتُهُ كَمَا
هُوَ لِلْغَرَابَةِ فِي الْجَمَالِ عَرَابَةٍ ١٩١
حَلَيْتُ شِعْرِي مِنْ بَدِيعِ صِفَاتِهِ
فِي خُدِّ مُوسَى نَقْطُ خَالٍ رَائِقِ
فَتَرَى صَحِيفَةَ كَاتِبٍ مُتَمَاجِنِ
يَجْرِي بِفِيهِ كَوْنٌ فِي جَوْهَرِ
أَهَا لِلْوُلُؤِ ثَغْرِهِ هَلْ يَشْتَفِي
إِنْ رَمَتْ مِنْهُ الْوَصْلَ فَعَلًا حَاضِرًا
فَقَضَى أَسَى قَبْلَ اقْتِضَاءِ دُيُونِهِ
تَتْلُو لِقَلْبِي «فَاطِرًا» بِجُفُونِهِ
أَخَذَ الْمَحَاسِنَ رَايَةً بِبِمِينِهِ
بَطْلَاوَةٍ تُغْنِيهِ عَنْ تَلْجِينِهِ
نُورَ الْعِذَارِ مَحَلًّا مِنْ نُورِهِ
قَدْ خَطَّ قَبْلَ النُّونِ نَقْطَةً نُونُهُ
أَرْخَصْتُ جَوْهَرَ أَدْمُعِي لِيَمِينِهِ
مَكُونُ ذَاكَ الشُّوقِ مِنْ مَكُونِهِ؟
أَوَمْتُ لِلْأَسْتِنَافِ سَيْنَ جَبِينِهِ

١٨٩ جمع خال.

١٩٠ الخمر.

١٩١ راية عرابية: مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلشُّهْرَةِ، كَمَا يُقَالُ: عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ.

دموع الأسى

هي دُرَّة مراثيه، لا، بل هي وحيدة مراثيه، قالها في «أبي بكر بن غالب» القائد الخطير، والوزير الكبير:

يَجِدُ الرَّدَى فِينَا وَنَحْنُ نُهَازِلُهُ
بِقَاءِ الْفَتَى سَوْلاً يِعْزُّ طِلَابُهُ
وَأَنْفُسُ حَظِيكَ الَّذِي لَا تَنَالُهُ
أَلَا إِنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ بَحْرٌ نَوَائِبُ
تَرْتُّ ١٩٢ لِمَنْ رَامَ الْوَفَاءَ حِبَالُهُ
وَأَكْثَرُ مِنْ حُزْنِ الْجَزُوعِ خُطُوبُهُ
فَمَا عَصَمَتْ نَفْسَ الْمُقَدَّسِ رَوْعُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ فِي الْمَوْتِ أَنَّ اخْتِيَارَنَا
وَكَيْفَ نَجَاةُ الْمَرْءِ أَوْ فَلَاتَاتِهِ
وَأَمَّا وَقَدْ نَالَ الزَّمَانُ ابْنَ غَالِبٍ
أَلَيْسَ الْمَسَاعِي فَارْقَتْهُ فَأَظْلَمَتْ
لَقَدْ لُفَّ فِي أَكْفَانِهِ الْفَضْلُ كُلُّهُ
فَإِنْ ضَمَّهُ مِنْ مَسْتَوِي الْأَرْضِ ضَيْقُ
وَكَمْ سَاجَلَتْ فِيهَا الْبَحَارَ يَمِينُهُ
لِئِنْ سَوَّدَ الْآفَاقَ يَوْمَ حِمَامِهِ
وَأِنْ سَدَّ بَابَ الصَّبْرِ حَادِثُ فَقْدِهِ
وَأِنْ ضَيَعَتْ مَاءَ الْعَيُونِ وَفَاتُهُ
وَكَمْ أَحْيَتِ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ صَلَاتُهُ
تُخَلِّفُ فِي مَرِّ الْمَصَابِ قُلُوبُنَا

وَنَغْفُو، وَمَا تَغْفُو فُوقَا نَوَازِلُهُ ١٩٢
وَرَيْبُ الرَّدَى قَرْنٌ يَزِلُّ مُصَاوِلُهُ ١٩٣
وَأَنْكَى عَدُوِّكَ الَّذِي لَا تُقَاتِلُهُ
وَكُلُّ الْوَرَى عَرْقَاهُ، وَالْقَبْرِ سَاحِلُهُ
وَتَعْرَى لِمَنْ رَامَ الْخَلَاصَ حِبَالُهُ
وَأَكْبَرُ مِنْ حَزْمِ اللَّبِيبِ غَوَائِلُهُ
وَلَا قَصْرَتْ بِالْمُسْتَكِينِ عِلَائِلُهُ
يُنَافِرُهُ، وَالطَّبْعُ مِمَّا يُشَاكِلُهُ
عَلَى أَسْهَمٍ قَدْ نَاسَبَتْهَا مَقَاتِلُهُ
فَقَدْ نَالَ مِنْ هُضْمِ الْعُلَا مَا يُحَاوِلُهُ
كَمَا فَارَقَتْ ضَوْءَ النَّهَارِ أَصَائِلُهُ
وَسَاقَ الْعُلَى جَهْرًا إِلَى التُّرْبِ حَامِلُهُ
فَكَمْ وَسِعَ الْأَرْضَ الْعَرِيضَةَ نَائِلُهُ!
وَكَمْ جَانَسَتْ فِيهَا الرِّيَاضَ شِمَائِلُهُ
لَقَدْ بَيَّضَتْ صُحُفَ الْحِسَابِ فُضَائِلُهُ
لَقَدْ فَتَحَتْ بَابَ الْجَنَانِ وَسَائِلُهُ
لَقَدْ حَفِظَتْ مَاءَ الْوُجُوهِ نَوَائِلُهُ
وَكَمْ قَتَلَتْ مَحَلَّ السِّنِينَ فَوَاضِلُهُ
وَرُفَّتْ إِلَى بَرْدِ النَّعِيمِ رَوَاجِلُهُ

١٩٢ الفُوقُ — بضم الفاء وفتحها — أي الرَّاحَة، والنوازل جمع نازلة، وهي المصيبة.

١٩٣ قرنك هو الذي يَعِدُكَ وَيُساوِيكَ، ومُصَاوِلُهُ: النازل معه في قتال.

١٩٤ تَهَن وَتَضَعُف.

كريم أناس كنت ممن يُجامِلُه
ولا انقطع السعي الذي أنت وأصلُه
بمجد يُقوِّي ما بنى ويُشاكِلُه
وأَيِّدُه دُرِّي سعد يُقابِلُه
يتيمًا فلا يحزن فإنك كافِلُه
فلم تتزحزح بالحمام أوائلُه
وثوب طراد ليس تُعزى صواهِلُه
ولا طرب حتى تُغني مناصِلُه
وتُسفر عن بدر التمام محافِلُه
وساد بجود ليس يتعب أمله
وتَهوى الدَّراي أنهن شمائلُه
ولأن مهزًا معطفاه وذابِلُه
ويُقفِر منه غمده وحمائلُه
وإن لم تزل في كل يوم تواصلُه
كما شبَّ برقا حين فاضت هواطِلُه
له، والنجوم النِّيرات قبائلُه
أفكاره أمضى شبًّا^{١٩٧} أم عوامِلُه؟
يُجالِده في مشهدٍ ويُجالِله؟!
إذا لاح مرأه، وجادت أناملُه^{١٩٨}
أُتيح له منه ابتسام يُعاجِلُه
فكم سبقت فرض المصلي نوافِلُه
تباين زجُ الرمح قدًا وعاملُه^{١٩٩}

عزاء أبا بكر! فلو جامَل الرَّدَى
وما ذهب الفرع الذي أنت أصلُه
أبوك بنى العَلَى، وأنت سدنتها
كما تمَّ حسنُ البدر، وهو مُكَمَّلُ
وإن أصبح المجد التليدُ لفقده
إذا ثبتت أخرى الندى في محمد
حليف جلالٍ ليس تُكسى سيوفُه
فما جمرة إلا دماء عِداته!
تضمُّ على ليث الكفاح حُرُوبُه
سما بعلًا لا يستريح حُسُودُها
تودُّ الغواصي أنهن بنانه
تساوى مضاء رأيه وحسامه
ربوع المساعي عامرات بسعيه
وأقلَّ حبُّ الهامِ شفرةً عضبه^{١٩٥}
توقد زهنا حين سال سماحةً
تَلَوَّعَ^{١٩٦} حتى يحسب الأفق منشأً
تحيَّرت فيه، والمعاني غرائب،
إذا كان خطب، أو خطاب فأين من
ترى فيه فيض النيل، والبدر كاملاً
كريم، إذا ما عُمر الوعد ساعةً
لئن سبقتُه بالزمان معاشرُ
وإن شاركته في العلى هضبة فقد

^{١٩٥} شفرة كل شيء حرَّفه، والعَصَب: السيف.

^{١٩٦} صارَ ظريفاً حديدَ الفؤاد.

^{١٩٧} جمع شَبَاة — بفتح الشين — وهي حدُّ الطرف.

^{١٩٨} ترتيب مُشَوَّش، وهو يريد إذا جادَ شَابَهَ النيلَ في فيضانه، وإذا بدا تساوى والبدرَ في لَمَعانه.

^{١٩٩} تباين: اختلف، وزج الرمح الحديدية التي في أسفله، وعامله ما يلي السنان.

ووطنْتَنِي إِذْ أزعَجْتَنِي زلازلُهُ
ولا خائفٌ إِلَّا عَلاكَ معاقِلُهُ
تُظِلُّ، وتَرْوي العاطِشِينَ هَواطِلُهُ
فبُورَكَتَ مِنْ سَيفٍ وبُورِكَ حَامِلُهُ
بَسْعُوكِ والهادي إلى الخير فاعِلُهُ

حجرتَ أبا بكرٍ على الدهرِ جانبي
فلا شاردٌ إِلَّا نَداكَ عِقالُهُ
وكنْتَ العِبادَ الأَمَنَ كالأَمُزَنِ آيَةً
وإنْ كنْتَ سَيفًا للمُريبين مُرْهَفًا
أراكَ بَعيْنِي مَنْ أَقلَّتْ عِثارَهُ

شكاية عاشق

وذاك خَدُّكَ مَصْبوغًا بَعْنَدِمِهِ
رامَ غَزًا مُقْلَتِي صَبًّا بِأَسْهُمِهِ
وحظُّ مُغْرَمِهِ إرجاءُ مُغْرَمِهِ
لو يَقْبَلُ الوصلَ رَأيًا مِنْ مُعْلَمِهِ!؟

ظلمًا خَصِمْتَ شَهِيدَ الحَبِّ عَنْ دَمِهِ
يصبوا لألحاظِ موسى القلبِ، وا عَجَبًا!
نَصِيبُ عاشِقِهِ مِنْ حَبِّهِ نَصِيبُ
عَلَمَتِهِ الفَتَكِ فِي قَلْبِي بِنَاضِرِهِ

معجزات الجمال

أَلحَاطُهُ نَفْسًا بِهَا أَفْدِيهِ
آيٌ يَضِلُّ بِهِنَّ مَنْ يَهْدِيهِ
بِمُصَدِّقِ دَعَوَاهُ لَا يَعْصِيهِ
أَوَدَّتْ بِهِ لَسَعًا، فَمَنْ يَرْقِيهِ؟!
مِنْ تِيهِهِ فِي مِثْلِ قَفَرِ التِّيهِ
مِثْلَ العُيُونِ لَنَا مَرَّاشُ فِيهِ
شَقَّ العَصَا لِلصَّبِّ كَيْ تُرْدِيهِ
أَغْرَقْتَنِي مَعَ جُنْدِ صَبْرِي فِيهِ
لو أَنَّ إِيْمَانَ الشَّجِي يُنْجِيهِ!

رُوحِي فدا موسى، وإنْ لم تُبْقِ لي
تَهْدِي إلى دِينِ الصَّبَاءِ ٢٠٠ لِحُسْنِهِ
فَعَلْتُ فِعَالًا عَصَا الكَلِيمِ ٢٠١ لِحَاطَتِهِ
تَسْعَى لِقَلْبِ الصَّبِّ مِنْهَا حَيَّةٌ
فَأَرَى قُلُوبَ العاشِقِينَ تَحِيرُ
جَدَّ الغَلِيلِ، وَلَوْ أَرَادَ تَفَجَّرَتْ
شَقَّتْ ظُبًّا أَلحَاطِهِ بَحْرَ الهَوَى
حَتَّى إِذَا أَمَعْنَتْ فِيهِ مُغَرَّرًا
وَدَعَوْتُهُ إِنِّي بِحُسْنِكَ مُؤْمِنٌ

٢٠٠ دين فريقي من اليهود.

٢٠١ عصا سيدنا موسى، عليه السلام، حيث كانت تُرْمَى بِيَدِهِ فَتَصِيرُ حَيَّةً تَسْعَى، وحيث ضربَ بها البحرَ، فانفَرَقَ، فكان كُلُّ فَرَقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ.

تهنئة بشفاء من مرض

فَوْقَ سِهَامِكَ! إِنَّ اللَّهَ يَرْمِيهَا،
ثَمَارُ نَجَجٍ، سَحَابُ الرَّأْيِ يُمَطِّرُهَا
إِذَا الْكَتَائِبُ نَالَتْ فِي الْعِدَا وَطَرًا
إِذَا أَصَابَتْ لَدَى الْمَرْمَى النَّبَالَ، فَمَا
بُرءُ الْوَزِيرِ أَتَى، وَالْفَتْحُ يَعْقِبُهُ،
إِذَا اشْتَكَيْتَ رَأَيْتَ الْجُودَ مُشْتَكِيًا
أَمَّا رَأَيْتَ الصَّبَا مَعْتَلَّةً، وَكَسَى
وَكَيْفَ تُمْرُضُكَ الدُّنْيَا، وَلَا فَعَلَتْ،
لَوْ حَارِبَتْكَ النُّجُومُ النَّيِّرَاتُ إِذَنْ
وَاسْلُلْ سَيْفَكَ وَالْأَقْدَارُ تُمْضِيهَا
وَأَنْتَ تَغْرِسُهَا، وَالْدِّينُ يُبْنِيهَا
فَأَنْتَ نَائِلُهُ إِذْ كُنْتَ تَهْدِيهَا
تُعْزَى إِصَابَتُهَا إِلَّا لِرَامِيهَا
كَالشَّمْسِ جَاءَتْ، وَجَاءَ الصُّبْحُ يَكْلُوهَا
وَالنَّاسُ، وَالْدِّينُ، وَالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
شَمْسَ الْأَصِيلِ اصْفِرَارًا مِنْ تَشَكِّيْهَا
يَا سَيِّدَا تَمْرُضُ الدُّنْيَا فَتَشْفِيهَا
خَرْتُ لَسَعِدِكَ مِنْ أَعْلَى مَرَاقِيهَا

(انتهى)

